אל-ג'דיד
AL-JADEED
١٩٨١
الثمن
٧ شواقل

الجديد

العددان الرابع والخامس (نيسان ـ أيار) ١٩٨١



تقرأ في هذا العدد



رأي الجديد
[illegible] (ص ٣)

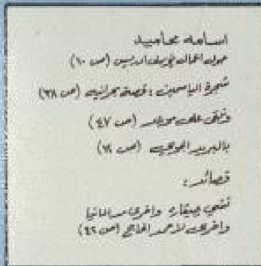




د. اميل توما
[illegible] (ص ٦)



سلمان ناطور
[illegible] مجد الكروم (ص ٢٦)









[illegible] خوري
الزواج والطلاق [illegible]
[illegible] (ص ١)



سميح القاسم
كولاج (ص ٣٠)



الزورق : قصة فلسطينية (ص ٣٩)



[illegible] : قصة سوفياتية (ص ٣٦)

بين يديك العددان الرابع والخامس من "الجديد" في عامها الثلاثين. تستهله هيئة التحرير بالاشارة الى ثلاثة تواريخ هامة في سيرة الشعوب وهي ذكرى ميلاد لينين وذكرى النصر على النازية وعيد الاول من أيار. وحتى وان كانت بلادنا التي يسيطر فيها نظام معاد للفكر لينين وللطبقة العاملة ولا ينظر الى النصر على النازية الا من خلال بقوة ويزيف حقائق التاريخ المعاصر جدا، الا اننا نظل نرى في هذه التواريخ انعطافات حاسمة في تاريخ الانسانية ونضال الشعوب من اجل التحرر الوطني والاستقلال والقضاء على الاستغلال والظلم. وفي هذا العدد يواصل الدكتور اميل توما بحثه في تاريخ فلسطين ايام الدولة العثمانية وتأتي رواية نجيب نصار "مفلح الغساني" التي نشير اليها في هذا العدد، لتكون وثيقة تاريخية تصور اواخر ايام الحكم العثماني على فلسطين. كما أن سلمان ناطور، يواصل تسجيل المجازر التي ارتكبتها القوات الصهيونية عام النكبة، ويكتب هذه المرة عن مجزرة وقعت في مجد الكروم، سقط ضحيتها اربعة شبان.

سميح القاسم يساهم بقلمه وريشته، ومنها خوري تكتب عن الزواج والطلاق في النظامين الراسمالي والاشتراكي. اخترنا لهذا العدد اربعة قصص، سوفييتية وفلسطينية وبحرانية واقصوصة لكاتب من المناطق المحتلة، كذلك اخترنا قصائد مترجمة وقصيدة أخرى للاستاذ نايف الحاج.

البريد الجوي حمل الينا مجموعة من الاخبار الثقافية، و"نبقى على موعد" يظل الباب الذي يبشر بمواهب تتفتح وتنمو على صفحات الجديد.

كما في كل عدد، الفنان عبد عابدي يزين صفحات المجلة بلوحاته. ويبقى أن نشير معتذرين الى أن لوحة الغلاف التي نشرت في العدد الماضي هي للرسام نبيل عناني وليس لعصام بدر، كما ورد سهوا، فمعذرة، والى اللقاء معكم جميعا.

المحرر

رأي الجديد

تواريخ مشهودة

سجّلت الانسانية في مسيرتها الصعبة والمعقدة تواريخ مشهودة بعضها اقتصرت تداعياتها على قطر او قارة .. وبعضها امتدت اسقاطاتها الى جميع زوايا العالم ..

ومع ان بعض اشهر السنة تنافست مع غيرها على جمع تواريخ ثورية مشهودة اكتسبت ابعادا حاسمة مثل شهر تموز الذي شهد انتصارات ثورات خطيرة مثل ثورة الاستقلال الاميركي والثورة الفرنسية الكبرى وثورتي مصر والعراق في العصر الحديث، الا ان هذه الايام ، التي تجسّد بين شهري نيسان وايار ، قادرة على انتزاع قصب السبق من شهر تموز ..

لينين

ففي ٢٢ نيسان العام ١٨٧٠ حل على هذا العالم فلاديمير ايليتش لنين الذي طوّر ايديولوجية الطبقة العاملة ـ الماركسية ، حتى اصبحت ماركسية ـ لينينية ، وشوّلاد هيئة اركانها الاحزاب الشيوعية وقاد اول ثورة اشتراكية ناجحة وهندس بنيا، الدولة الاشتراكية الاولى ـ الاتحاد السوفييتي .

ان عبقرية لنين وعظمته تكمن في انه "رجل العالم الجديد من اعلى راسه حتى أخمص قدميه" كما وصفه ا.ف. لوتشارسكي وزير الثقافة في اول وزارة سوفيتيه بعد الثورة ..

لقد نجح لنين في ادراك قوانين التطور الاجتماعي ادراكا عميقا .. وبحسه المرهف والعلمي في آن واحد ، قوّم تقويما صحيحا طابع الصراع الطبقي في بلاده ـ روسيا القيصرية ـ وفي العالم، وكان في وسعه بما يتحلى به من وعي وحماس ثوريين ان يتماثل مع زخم ثورية الجماهير الكادحة فيقودها الى النصر في اللحظة المواتية.

ومن البديهي ان هذه الثورة الاشتراكية الكبرى دشنت عصر التحولات الجذرية في عالمنا،عصر الانتقال من الانظمة الطبقية ـ الراسمالية وما قبل الراسمالية ـ الى النظام الاشتراكي ، الى العالم الجديد ...

وفي بدء هذا العصر ارسى لنين قواعد بنيا، أدوات هذا الانتقال الثوري، فاسس الاممية الشيوعية في العام ١٩١٩ ووحّد في اطارها الاحزاب الشيوعية النامية ، واسهم اسهاما حاسما في بلورة استراتيجيتها وتكتيكها، على الرغم من ظروف التطور غير المتعادل، الذي كافحت في ظلها ..

ومضى لنين فغاب عن مسرح الاحداث السوفييتية والعالمية قبل أوانه نتيجة محاولة اغتياله وحياته العاصفة ونشاطه الفكري والتنظيمي الديناميّ ..

ولكنه بانتاجه الفكري وممارسته التنظيمية، المبدعين والخلاقين ، ترك تراثا ايديولوجيا شاملا يلجأ اليه الثوريون في كل قطر مهما تباينت ظروفه وتعقدت أوضاعه.

ونحن الذين نعيش في هذه المنطقة من العالم لا نزال نجد في تراث لنين ، في الماركسية اللينينية ، المرشد والملهم في الملمات القاسية والصعبة.

فلنين هو الذي صاغ مقولة التحالف بين حركات التحرر القومي والحركة الاشتراكية العالمية بقيادة الاتحاد السوفييتي وبذلك وضع اسس الانجازات الرائعة التي حققتها تلك الحركات التحررية الثورية.

لا يمكن في عصرنا ان تقوم حركة ثورية واعية .. وان تحقق نجاحات قيمة بدون الاعتماد على تراث لنين الحي .. الحي بعصريته وفعاليته وطاقاته الخلاقة.

واليوم تواجه هذه البلاد قضية مصيرية ـ هي قضية الخيار بين السلام والحرب .. ونجمت هذه القضية عن احتدام ازمة الشرق الاوسط والمشكلة الفلسطينية التي تؤلف لبها وجوهرها.

ومن حق لنين علينا ان نقرر دوره في طرح حق تقرير المصير باعتباره مبدأ حل القضايا القومية والسبيل اليه.

لم يكتف لنين بطرح هذا المبدا بصورة مجردة بل حدد مدلولاته حين اكّد ان ممارسة هذا المبدا يجب ان تتفق مع مطامح الشعب المعين ومصالحه وفي الوقت نفسه ربط ذلك عضويا بكفاح

الشعوب وفي طليعتها البروليتاريا من اجل التقدم الاجتماعي .. من اجل الانتقال الى الاشتراكية.

ورفض لنين رفضا حازما دعاوى اولئك الذين ارادوا تقييد هذا الحق انطلاقا من تمسكهم "بحقوق" قومياتهم الخاصة .. واعلن لا يمكن ان تكون ممارسة هذا الحق على حساب حقوق شعب او شعوب اخرى ..

وهذا الادعاء، هذا التقييد يعلنه بعض "التقدميين" ؟؟ الاسرائيليين الذين يزعمون تاييد حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير المصير ويشترطون لذلك تحديد هذا الحق حتى لا يضر ما يسمونه "امن اسرائيل ومصالحها الحياتية". وفي رأيهم يقوم امن اسرائيل ومصالحها على السيطرة الانفرادية على مصادر المياه في المناطق الفلسطينية المحتلة.. وعلى اقتصادها وعلى الامن الداخلي والخارجي فيها..

ان الاحتفال بولادة لنين اليوم ليس احتفالا اكاديميا جافا بل احتفالا بافكار منظر عبقري تسري مقولاته على اخطر قضية تواجهها اليوم ـ قضية السلام والحرب .. وفي صلبها المشكلة الفلسطينية.

أول أيار

ولم يكن تزامن الاحتفال بولادة لنين بالاحتفال بيوم الطبقة العاملة العالمي مخططا قدريا.. الحياة واحداثها وصراعاتها هي التي نحتت على واجهة التاريخ هذا التزامن.

ولكن القربى بين هذين التاريخين قررتها ملابسات التطورات التاريخية، فكما ان لنين كان نتاج ظهور الطبقة العاملة وكفاحها من اجل المجتمع الافضل .. كذلك كان اول ايار معلما حاسما في كفاح تلك الطبقة التي اختارها التاريخ، بل فرض عليها، ان تكون قابلة التحول الاجتماعي ..

لقد سجّل التاريخ المعاصر حدث اول ايار، لاول مرّة، في صفحات كفاح الطبقة العاملة الامريكية. وهذا بدوره لم يكن مصادفة اذ ان الولايات المتحدة، بنمو برجوازيتها العاصف ولدت الطبقة العاملة التي لم يكن في وسعها ان تستكين لاستغلال البرجوازية ومحاولات سحقها.

كذلك لم يكن من قبيل المصادفة ان تستنفر الهجمة السلطوية على المتظاهرين في اول ايار الاول سخط الطبقة العاملة العالمية وغضبها اذ ان شعارات اولئك المتظاهرين ـ ثماني ساعات عمل في اليوم .. واجور واقعية وشروط انسانية ـ جسمت تطلعات الكادحين في كل مكان وفي كل قطر.

ولهذا تجاوبت الطبقة العاملة قبل حوالي المئة عام مع نداء الاممية الداعي الى اعلان اول ايار يوم تضامن العمال العالمي ..

ومنذ ذلك الوقت انقلبت موازين القوى الطبقية في العالم ..واصبح اول ايار عيدا عماليا.. ويوم نضال ثوري ..

فهو عيد احتفالي في الاقطار الاشتراكية حيث حقق كفاح الطبقة العاملة نصره الاكيد وقضى على استغلال البرجوازية وانشا مجتمع المساواة والتحرر والتقدم الاجتماعي وهو يوم نضال في الاقطار الراسمالية حيث تواصل الطبقة العاملة كفاحها من اجل مستقبلها المشرق.

وبداهة ان الطبقة العاملة في اسرائيل حرصت على الاحتفال بهذا اليوم النضالي..واعربت عن ذلك في مناسبات عديدة وباشكال مختلفة كان من بينها المظاهرات والمهرجانات الشعبية..

ولكن قيادة المنظمة النقابية .. ومن ورائها احزاب العمال الصهيونية ـ وهي تزعم الانتماء الى الاشتراكية ؟؟ في دعاياتها في حالات معينة تخون هذا اليوم بمسوغات مختلفة..

الا ان اعلام ايار تخفق في سماء هذه البلاد بفضل طليعة الطبقة العاملة ـ الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي يوحد في صفوفه العمال اليهود والعرب الواعين ..

وفي هذه السنة خفقت هذه الاعلام في مظاهرات تل ابيب ومهرجانات الناصرة وكفرياسيف والطيبة وغيرها.

عيد النصر على النازية

ومن الممكن ان يكون الخيط الذي يربط بين ذكرى ولادة لنين وعيد اول ايار وعيد النصر على النازية في ٩ ايار واهيا من حيث التزامن الشكلي لا من حيث المضمون .. انما هناك عمود فقري يربط بين هذه التواريخ ..

لقد نشأت الفاشية الايطالية في سنوات العشرين، ومن بعدها النازية الالمانية في سنوات الثلاثين لتكون رد البرجوازية الكبرى – وقد وصلت الى اعلى مراتبها الامبريالية، على موجة الاشتراكية الثورية في اعقاب الحرب العالمية الاولى ..

وكان هدف الفاشية – النازية وحلفائها : العسكرية اليابانية والرجعية السوداء في كل مكان القضاء على الشيوعية وبخاصة قاعدتها المادية – الاتحاد السوفييتي .

وفي مناخ الحملة الصليبية على الشيوعية والاتحاد السوفييتي .. وفي اوضاع التناقضات بين الدول الامبريالية المانيا وايطاليا واليابان من ناحية وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة فجّرت المانيا النازية الحرب العالمية الثانية في العام ١٩٣٩ .

وكان هجوم القطعان النازية على الاتحاد السوفييتي في اثناء ذلك محور تلك الحرب . واملت الظروف الموضوعية وتوازن القوى وطابع الدولة الاشتراكية مسيرة تلك الحرب القاسية – الوحشية بملايين الضحايا، كما املت قيام الاتحاد السوفييتي بالدور الحاسم في انزال الهزيمة الساحقة بالمانيا النازية وحليفيها ايطاليا الفاشية واليابان العسكرية .

ولذلك ادّى الانتصار على النازية الى تغييرات جوهرية في توازن القوى الدولية .. فدور الاتحاد السوفييتي في تلك الحرب شل مطامع الامبرياليين الذين وقفوا في مواجهة النازيين جريا وراء مصالحهم الاستغلالية ودمر السدود امام انطلاق عدد كبير من الشعوب نحو التحرر السياسي والاجتماعي ..

وهكذا تحررت اقطار اوروبا الشرقية وبدات مسيرتها الشعبية التي اوصلتها الى الاشتراكية .. وسارت معها اقطار اسيوية وصل بعضها الى الاشتراكية وحقق بعضها الاخر التحرر القومي .. واقتفت اثار تلك الاقطار بهذا القدر او ذاك من التحرر السياسي اقطار في افريقيا واميركا اللاتينية .

وخلق هذا المضمون السياسي الاجتماعي ، الذي وسم النصر على النازية والفاشية والعسكرية بطابعه الثوري الدينامي ، النظام الاشتراكي العالمي فاصبح اهم عامل مقرر في تطورات التاريخ المعاصر ..

وقيام النظام الاشتراكي العالمي كان الحدث الاعظم بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى والنصر على النازية الذي احبط المؤامرة على الاشتراكية ..

وعلى هذا الضوء فهو النصر المجيد الثالث الذي تحققه الطبقة العاملة التي قادها لنين بعبقرية فذة .. واختارت اول ايار عيدا عالميا من اعيادها .

وهكذا يظهر العمود الفقري الذي اشرنا اليه فالتواريخ الثلاثة .. او الاعياد الثلاثة هي اعياد الطبقة العاملة العالمية – اعياد الطبقة العاملة اليهودية والعربية في هذه البلاد .

ولعل افضل ما نشير اليه هنا هو تذكير حكام اسرائيل بمدلول النصر على النازية فهم يتجاهلون ان هذا النصر اطلق تقدم الشعوب من عقاله .. ولا سبيل الى اعادة اي شعب منها الى القيد او القضاء على شعب مثل الشعب العربي الفلسطيني ..

وهذه هي رسالة التواريخ الثلاثة المشهودة .. فليتعظ من في طاقته ان يفهم وجهة التاريخ .

"الجديد"

دراسة

فلسطين فى العهد العثمانى

بدء مرحلة الاصلاحات

بقلم الدكتور: اميل توما

أوضاع السلطنة العثمانية

تزامنت وفاة أحمد الجزار مع تحولات هامة طرات على الساحة الدولية وعلى السلطنة العثمانية باقاليمها الاوروبية – البلقانية والعربية المشرقية – في الاساس.

انسحاب الحملة الفرنسية-النابليونية، بعد ان اخضعت نظام المماليك في مصر، خلق الاوضاع لارساء اسس الدولة المصرية الحديثة برئاسة محمد علي. فبعد فترة صراع متعدد الاطراف احتدم بين ١٨٠٣ و ١٨٠٥ وحاولت خلالها بريطانيا أن تنصب نظاما مملوكيا على البلاد وصل المملوك الالباني محمد علي الى الحكم تسانده موجة من التأييد الشعبي.. واعترفت السلطنة العثمانية بهذا الواقع وعينت محمد علي حاكما على مصر في حزيران ١٨٠٥ .. وبذلك ساعدته على تصفية النظام المملوكي تماما. وادخلت الى ساحتها وبخاصة في المشرق العربي عاملا جديدا قام بدور خطير في تطورات سوريا ولبنان وفلسطين ابتداء من عام ١٨٣١.

وفي هذه الفترة التي امتدت بين عام ١٨٠٤، عام وفاة الجزار وبدء الحملة المصرية في سوريا بقيادة ابراهيم باشا، ابرز ابناء محمد علي، بدات مرحلة الاصلاحات في بناء السلطنة العثمانية على مختلف الاصعدة.

ومن أهم هذه الاصلاحات اصلاح الجيش او على الاصح اعادة بناء قوات السلطنة العسكرية. فقد ادركت السلطنة انها لا تستطيع مواجهة التحديات العسكرية – اطماع الدول الكولونيالية، الثورات القومية في البلقان، وفرض المركزية على أقاليمها بالقضاء على نزوع الولاة الى الانفراد بالسلطة أو الاستقلال – بدون بناء قوات مسلحة نظامية ومدربة وحديثة تتحلى بالانضباط العسكري والولاء لها..

وهذا ما بادر اليه السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ – ١٨٠٧). فقد اسس في مطلع القرن وحدات عسكرية حديثة، عرفت بالنظام الجديد، وانشا بعض الصناعات الحربية ودشن مدارس عسكرية وبحرية لتخريج ضباط مدربين على الطراز الاوروبي الغربي.

وفي سبيل تحقيق هدفه كاملا بدا في عام ١٨٠٥ في تجنيد السكان في الجيش الجديد وبذلك أثار نقمة الانكشارية، وقد كانت قواتهم هي التي اشادت الامبراطورية العثمانية فيما مضى، ولكنها انحطت واصبحت عاملا يفتت نسيج السلطنة ومحاولاتها اصلاح الاوضاع المتردية.. والواقع أن قوات الانكشارية – وهي قوات مرتزقة خلقت مع مرور الايام مراكز قوة تتدخل في مركز السلطنة وفي ولاياتها جريا وراء مصالح قادتها وتزيد من الاعباء الضريبية على القوى المنتجة، على المزارعين والحرفيين وسائر الفئات الشعبية.. بل ان هذه القوات كثيرا ما تحركت لتغتال السلاطين او تخلعهم من مركز السلطنة.. كما تحركت في الولايات لهذا الغرض مما كان ينزل الضربات المؤلمة بالاهالي..

وازداد خطر قيادة هذه القوات بتحالفها مع قادة العلماء – رجال الدين الذين عاشوا طفيليين يتمتعون بالامتيازات الاقتصادية والاجتماعية على حساب الفئات الشعبية المسحوقة. واتضحت أخطار الانكشارية عبر ردهم على الاصلاحات العسكرية.. فقد تمردوا على السلطان سليم الثالث في عام ١٨٠٧ واطاحوا به وجمدوا اصلاحاته بمباركة قادة العلماء في الباب العالي بالاستانة.

وحين وصل السلطان مصطفى الرابع الى سدة السلطنة بعد ذلك نجح احد قادة الانكشارية في اغتياله قبل أن تمر سنة على ولايته.

ولم يستمر تجميد الاصلاحات فترة تاريخية طويلة فالسلطان محمود الثاني (١٨٠٨ – ١٨٣٩) استغل الثورة القومية اليونانية، في العام ١٨٢١ التي كشفت من جديد عقم الانكشارية في مواجهة التحديات الخارجية والداخلية لتطبق الاصلاحات التي عرفت "بالتنظيمات الخيرية" (العرب والعثمانيين ١٥١٦ – ١٩١٦، الدكتور عبد الكريم رافق، ص ٣٧٨ ..).

وساعده على ذلك ما أظهره جيش حاكم مصر الحديث، محمد علي، من فعالية ونجاعة، في مقاومة الثورة اليونانية باوامر السلطنة. وقامت هذه الاصلاحات - او التنظيمات الخيرية - على ثلاث دعائم ارتبطت بثلاثة ميادين جوهرية في حياة البلاد.

وكان اصلاح الجيش الدعامة الاولى.. ففي العام ١٨٣٦ اعاد السلطان محمود الثاني تشكيل الجيش، حسب قواعد النظام الجديد، ونجح في الوقت نفسه في القضاء على الانكشارية الذين ثاروا احتجاجا على هذا الاجراء..

وفي الوقت نفسه طبق السلطان مرسوما او "تنظيما خيريا" آخر حين أبطل سيطرة العلماء على الاوقاف ووضعها تحت اشراف الحكومة.. فتلك السيطرة منحت العلماء عنصرا هاما في ترسيخ نفوذهم الواسع والعميق على الاهالي كما انها اغدقت عليهم قدرة اقتصادية هائلة مكنتهم من حرية الحركة. وكان واضحا بعد هذا الاجراء ان العلماء المتنفذين أصبحوا في قبضة السلطنة، يعتمدون عليها في تسلم رواتبهم ويحرصون على رضاها حتى تستمر في العطف عليهم.. ان هذا الاجراء الراديكالي لم يحيد العلماء ازاء الصراعات السياسية والاجتماعية بل دفع قطاعات منهم الى مساندة السلطنة وتاييد خطواتها.

واما الدعامة الثالثة فعالجت البنية الاقتصادية ففي العام نفسه ألغت السلطنة نظام التيمار احد دعائمها في عهد نهوضها وتحولت الاقطاعات، التي كانت تمنحها الدولة للقادة العسكريين لقاء تزويدهم اياها بالفرسان، الى الدولة وبذلك تحولت ضرائبها الى صندوقها.

ولا جدال في ان هذه الخطوة انزلت ضربة بالنظام الاقطاعي وان لم تقض عليه في تلك اللحظة. فغياب الجزار عن الساحة افسح المجال من جديد لعودة المشايخ والامراء الى مواقعهم او على الاقل الى اكثر مواقعهم.

ولكن هذه الاصلاحات لم يكن في وسعها ان تمنع امتداد الثورة اليونانية القومية التي حظيت بتاييد بعض الدول الكولونيالية وبخاصة روسيا القيصرية في البداية وانكلترا فيما بعد..

ومع أن السلطنة العثمانية نجحت بمساعدة قوات حاكم مصر محمد علي في تدمير قوات الثورة القومية اليونانية الا أن تعاون روسيا القيصرية وانكلترا وانضمام فرنسا اليهما في العام ١٨٢٧ غير الاوضاع تماما..

فاساطيل هذه الدول الكولونيالية الثلاث نجح في ابادة اسطولي السلطنة والنظام المصري في معركة نفارين في العام نفسه.. والحرب الروسية - العثمانية التي اندلعت بعد ذلك واستمرار كفاح اليونانيين.. وانسحاب القوات المصرية واحجامها عن التورط في الحرب الروسية العثمانية.. كل هذه العوامل فرضت على السلطنة توقيع صلح ادرنه في ١٤ أيلول ١٨٢٩ وبموجبها اعترفت السلطنة أولا باستقلال اليونان الذاتي وبعد ذلك بقليل باستقلالها التام.

ولم تقتصر الدول الكولونيالية في تدخلها في شؤون السلطنة العثمانية على الضغوط العسكرية والسياسية او على التسرب التجاري الاقتصادي.. بل امتد هذا التدخل وتحوّل الى احتلال اقاليم تؤلف اجزاء من السلطنة.. فانكلترا بدات عملية سيطرتها على سواحل شبه الجزيرة العربية.. وفي الثلث الاول من القرن التاسع عشر كانت تحتل مواقع عينيه في ساحل الصلح البحري.

وفي هذه الفترة اشتد نشاط الحكام العثمانيين لتاجيج الاحتراب الطائفي الذي اتضحت معالمه في نهاية القرن الثامن عشر.. ويروي مخائيل مشاقه في كتابه "مشهد الاعيان في حوادث سوريا ولبنان" ان الجزار لجا الى هذا العامل لتوطيد مواقعه وكتب ان جواسيس الجزار انتشرت "بين الدروز وحسنوا للمشايخ الفتك بالنصارى واغروهم بمواعيده بالمساعدة سواء كان بالرجال او بالمال" (ص ٥٩).

وكتب محمد كرد علي في هذا الموضوع أن السلطنة في أثناء ثورة اليونان القومية أرادت أن تنتقم من المسيحيين في انحاء المملكة "فامرت والي دمشق أن يقتل المفسدين من كبار طائفة الروم فعقد مجلسا من اعيان دمشق وتلا أمر الاستانة على مسامعهم فكان جوابهم انه لا يوجد من النصارى عندنا المفسدون وجميعهم ذميون سالكون بشروط الذمة فلا تجوز اذيتهم بل لهم ما لنا وعليهم ما علينا وان الرسول عليه السلام اوصى بالذميين .. ونحن لا نقدر أن نتحمل هذه التبعة..." (قتل النصارى - ا.ت.) (خطط الشام الجزء الثالث ص٣٩)

ونذكر هذا الامر لان احتدام الصراعات الاجتماعية والقومية في منتصف القرن التاسع عشر دفع السلطنة الى تفجير الاحتراب الطائفي مما أساء الى وحدة السكان في سوريا وأضر بتلاحمهم القومي.

ومما لا شك فيه أن الكولونياليين قاموا بدور مد





في هذا الشان بتنصيب انفسهم حماة الطوائف المسيحية المختلفة واستخدموا ذلك تنفيذا لاغراضهم الامبريالية.

والواقع أن تدخل الكولونياليين في السلطنة العثمانية في الميدان الاقتصادي كان له اسوا الاثر على اقتصاد السلطنة..

ويتفق البحاثة على أن الدول الكولونيالية المتطورة صناعيا، وبالتحديد بريطانيا وفرنسا صعدوا تسربهم التجارى في المشرق العربي، "العثماني"، مما اذى الى تدهور الحرف والصناعة الجنينية..

وكتب لوتسكي يجسم هذه الحقيقة التي اشتدت بروزا في منتصف القرن ولكنها بدات منذ بدايته: "وادّى الاستيراد المتزايد من البضائع الاوروبية الى انهيار المراكز الصناعية القديمة وتخريب الحرف والصنائع المنزلية، كما اعاق تطور المعامل اليدوية (المانيفاكتورة) الوطنية والانتاج الصناعي التي لم تستطع مقاومة مزاحمة الانتاج المصنعي الاوروبي" (تاريخ الاقطار العربية الحديث - دار التقدم، موسكو - ص ١٤٦).

واكدت هذه الحقيقة الباحثة السوفييتية ا. م. سمليانسكايا في دراستها "تفكك العلاقات الاقطاعية في سوريا ولبنان في منتصف القرن التاسع عشر" فذكرت ان صناعة الحرير والمنسوجات ازدهرت في سوريا ولبنان في نهاية القرن الثامن عشر لدرجة كبيرة بحيث اصبح المنتجون يصدرون نتاجهم الى الاسواق الاوروبية.. واضافت ان هذه الصورة تغيّرت في النصف الاول من القرن التاسع عشر فقد دمر الاستيراد من انكلترا صناعة القطن. ((اوردها شارلس عيساوى في مجموعة المقالات والدراسات التي جمعها ونشرها تحت عنوان "تاريخ الشرق الاوسط الاقتصادى ١٨٠٠ - ١٩١٤" ص ٢٢٩).

ولاحظت سمليانسكايا اثرا خطيرا آخر فكتبت: "انتجت التطورات في التجارة (مع اوروبا - ا.ت.) الى ازدياد اعتماد اقتصاديات سوريا ولبنان وفلسطين على راس المال الاجنبي. وجدير بالملاحظة ان ازدياد حجم التجارة الخارجية في ذلك الوقت ادّى الى تقليص بل قطع العلاقات (الاقتصادية) المحلية التي قامت بين ١٨٣٠ و ١٨٤٠ بحيث أجّل نشوء السوق المشتركة" (بين اقاليم السلطنة العثمانية العربية - ا.ت. - المصدر ذاته ص ٢٣٠).

ويظهر من العودة الى مؤلف جون ماك غريغور - "احصاءات تجارية" ويشمل تقارير القناصل الانكليز في سوريا في سنوات الثلاثين، ان الصناعة كانت تتطور في بداية القرن التاسع عشر. فحسب هذه الاحصاءات كان في حلب مثلا ٣٠ مصنعا للصابون وحوالي ٤٠٠٠ نولا لانتاج مختلف انواع الحرير والمنسوجات القطنية.. (المصدر السابق، ص ٢٢٠) كما يذكر غيره عن ازدهار صناعة الصابون في غير حلب - في دمشق ولبنان وفلسطين.. بل ان الرحالة ك. د. بيتكوفيش يذكر ان مصانع الصابون كانت تصدر انتاجها الى اوروبا..

وفي الوقت نفسه ازدهرت صناعة الزجاج في الخليل التي يعود تاريخها الى القرن الثامن عشر.. كما يتضح

ذلك مما كتبه الرحالة الفرنسي فولن الذى زار البلاد في الربع الاخير من ذلك القرن ..

وثمة عامل اخر اثـّر على التطورات في الاقاليم العربية "العثمانية" وتشمل فلسطين .. عامل الحركة الوهابية ..

ظهر داعية الدعوة الوهابية ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ في نجد في منتصف القرن الثامن عشر .. وتلخصت دعوته بمحاربة "بقايا العقائد البدائية الشائعة بين العرب ، اى عبادة الطلاسم من اصنام واحجار وينابيع واشجار .. وعبادة الاولياء" (لوتسكي ، ٩٥/٩٦) ..

والحقيقة أن الدعوة الدينية الوهابية دشنت الحركة السلفية في الاسلام التي اتخذت مختلف الاشكال (السنوسية مثلا في ليبيا) ولكنها تمحورت حول الدعوة الى الدين الاسلامي أيام السلف الصالح حين مارس المسلمون دينهم دون التراكمات الغيبية المفرطة التي اتسمت بالشعوذة .

ومن المهم أن نلاحظ أن شبه الجزيرة العربية آنذاك كانت تعاني من مصائب القبلية الاقطاعية وما رافقها من فوضى وصراعات ..

وهناك ما يشير الى أن الوهابية هدفت الى تشجيع الاستقرار وانهاء البداوة الشائعة ..

ولا نستبعد ما يذهب اليه بعض الكتاب من أن اعتناق أمير المدرعية في نجد ـ محمد بن سعود ـ الوهابية يعود فيما يعود اليه من امور ، الى طموح السعوديين الى توحيد القسم الاكبر من شبه الجزيرة العربية تحت حكمهم .

ولكننا لا نعتقد أن الوهابية تمثل نهوضا قوميا عربيا هدف الى توحيد العرب وتخليصهم من النير العثماني وان كنا لا ننفي أن مجابهة الوهابية ـ السعوديين السلطنة العثمانية ومحاربتهم سيطوتها اتسمت بمعلم قومي مثلما اتسمت بهذا المعلم دويلتا فخر الدين المعني وظاهر العمر .

والمهم هنا ان السعوديين ـ الوهابيين بعد ان رسخوا اقدامهم في نجد والحجاز في مطلع القرن التاسع عشر بداوا محاولاتهم في السيطرة على العراق وسوريا وقاموا في سبيل ذلك بغارات على اقاليم السلطنة العربية .

وهذا دفع السلطنة الى ان تامر ولاتها بمحاربة الوهابيين وصد نفوذهم .. وقام بهذه المهمة في فترة من الفترات ابتداء من عام ١٨١١ حاكم مصر محمد علي الذى جرد الحملة تلو الحملة لضربهم ونجح بين ١٨١٦ و ١٨١٨ في القضاء على الدولة الوهابية الى حين .. فقد عادت الوهابية الى الميدان فيما بعد ونجحت قواها السعودية في بناء دولة كبيرة في القرن العشرين .

والمهم هنا أن نثبت أن الوهابية عبر تحركاتها العسكرية أسهمت غاراتها في تفجير صراعات بين الولاة في سوريا بما في ذلك فلسطين .

وذكر محمد كرد علي في هذا الصدد أن السلطنة امرت في العام ١٨١٠ والي صيدا ـ عكا ، سليمان باشا ، القضاء على والي دمشق كنج يوسف باشا لانه " عجز عن سوق نصرة لقتال ابن سعود ورأى ، كما قال جودت (المورخ التركي ـ أ.ت.) ، اشتغال الدولة بمشاكلها الداخلية والخارجية فرصة لادخار المال واكثر من الاعتداء على الاهلين وظلمهم ، واختلس زيادة على هذا اموالا كثيرة من مرتبات الحج" (خطط الشام ، الجزء الثالث ، ص ٣٠) .

وفعلا قام سليمان باشا بالمهمة وقضى على والي دمشق المذكور وتولى الولاية بعده .

فلسطين في عهد سليمان باشا

تسلم سليمان باشا ولاية عكا وتشمل مناطق واسعة من فلسطين بعد وفاة الجزار في العام ١٨٠٤ .. ووصفه مخائيل مشاقه ، فكتب انه رجل مستوفي الشروط .. كان لائقا .. سجاياه حميدة .. غيورا على تأييد الشريعة .. صادقا باوامر الدولة .. شفوقا على الرعية .. متساهلا يحترم كافة الاديان ..(كتابه مشهد الاعيان في حوادث سوريا ولبنان ، ص ٦٤/٦٥) .

ولكن الصورة التي تركها لنا عدد من المورخين تختلف عن صورة مشاقة الذى خدم النظام في هذه الفترة .

كتب حنا العورا كاتب سليمان باشا في أيام استيلائه على ولاية دمشق أن سليمان أملى هذه الوصية : "انا قضيت حياة رايت فيها الحلو والمر ، فاذا أردتم أن تخدموني بالصداقة فانا اشترط عليكم أن لا تظلموا أحدا فلا أريد الظلم ولا أذية أحد ولا خراب بيت أحد . ولا عيني بمال احد واريد ما امكن سد باب الظلم وليس لي حاجة في غير لقمة خبز طيبة وحصان مليح و"جوبق" دخان والكسوة الاعتيادية وامراة واحدة ولست آذن ولا أرخص لاحد منكم أن يجمع لي من عباد الله بالظلم ولا بالخطف ولا بالحيلة ولا بوجه من الوجوه ولا أريد الا اخذ الاموال المرتبة بامر السلطان فقط.." (محمد كرد علي ، خطط الشام ، الجزء الثالث ، ص ٣٢) .

ولكن الحقيقة تتناقض مع هذه المزاعم فقد خلف

البقية على ص ٥٦

الاقتران بين الاعمال المسرحية والقصصية عند يوسف ادريس

مراجعة لكتاب البروفيسور ساسون سوميخ: "مبنى القصة ومبنى المسرحية في ادب يوسف ادريس" (**)

بقلم: اسامه محاميد

يرتبط اسم يوسف ادريس في ذهننا عادة كمبدع قصصي وروائي، لاننا ننسى، من حيث لا ندرى، ان له ابداعات اخرى في مجال المسرح بلغت سبع مسرحيات جمعها في كتاب بعنوان "نحو مسرح عربي".

من هنا تكمن اهمية وقيمة البحث الذى الفه مؤخرا البروفيسور ساسون سوميخ رئيس قسم اللغة العربية وادابها في جامعة تل ابيب حول مبنى القصة القصيرة ومبنى المسرحية في ادب يوسف ادريس. فهو يتضمن اضاءات جديدة لهذا الجانب "المسرحي" غير الذائع من تجربة ادريس الادبية، ويحدد نوعية علاقته، المتينة طورا والواهنة طورا آخر، بالجانب الاشهر والابرز من هذه التجربة الابداعية. ويعتمد المؤلف في ذلك على البحث المقارن لثلاث ثنائيات مسرحية ـ قصصية للكاتب، وهي تلك المسرحيات التي تقوم في اساسها، بهذا الشكل او ذاك على قصص قصيرة كان نشرها من قبل، وتتمثل في مسرحية "جمهورية فرحات" (١٩٥٧) المرتكزة على قصة تحمل نفس الاسم وصدرت عام ١٩٥٦، ومسرحية "المهزلة الارضية" (١٩٦٦) المرتكزة هي الاخرى، الى حد معين، على قصة "فوق حدود العقل" (١٩٦١) ومسرحية "الجنس الثالث" (١٩٧١) التي تشكل امتدادا لقصة "هي" (١٩٦٩)

يقع بحث البروفيسور سوميخ في اربعة فصول، الحق بها نص قصة ومسرحية "جمهورية فرحات".

ويتناول المؤلف في الفصل الاول بالتحليل المفصل قصة "جمهورية فرحات" بعناصرها ومقوماتها الاساسية، كالمبنى والمعنى والاسلوب ووظيفة الراوى. وفي الفصل الثاني يجرى مقارنة شاملة بين "جمهورية فرحات" القصة الاصلية وبين "جمهورية فرحات" المسرحية "المترجمة" والمولدة عنها، ويبيّن ما يترتب على مسرحة هذه القصة من تغييرات واضافات في الاسلوب والمبنى والمضمون والشخصيات والمواقف. فمثلا يقوم ادريس بتحويل المواقف الرتيبة الى مواقف ديناميكية نشطة، ويحدث تغييرا في توقيت الاحداث وموضعها الاصلي في النص، اضافة الى جعل الراوى "الانا" ـ الشاهد في القصة شخصية فعالة من شخصيات المسرحية، والى تجزئة الوحدات الحوارية وتسطيحها، و"ترجمة" السرد القصصي الى لغة اخرى هي لغة الحوار التي لم تحتفظ بالاثر الفني القائم في القصة. ويثبت لنا البروفيسور سوميخ انه على الرغم من هذه التغييرات العميقة الاثر التي طرات في النص الجديد "المولد" وتاتت كحصيلة لعملية "التوليد" (او الترجمة او التحويل) من لغة القصة الى لغة المسرحية، فان هذا النص لم يفقد ما يسميه ادريس "بالاحساس القصصي" او "الطريقة القصصية". وبالتالي فانه لم يبلغ المستوى الفني الرفيع الذى بلغه النص الاصلي، وخاصة بسبب عقبة الحوار المترجم عن السرد القصصي اذ انه لم يعكس احاسيس ونفسيات الشخصيات بل اصبح، بصورة قصرية، اداة للتعبير عن البراعة الكلامية، وعبئا على النص. ولما كان المؤلف قد اختار مسرحية "جمهورية فرحات" كممثله للمرحلة الاولى ـ اى الاجتماعية ـ من المراحل الثلاث لتجربة ادريس الادبية، فقد اختار في الفصل الثالث المسرحيتين الاخريين المولدتين ايضا عن نصوص قصصية، كممثلتين للمرحلة الثانية مرحلة البحث والانتقال عند الكاتب وللمرحلة الثالثة والاخيرة من عطائه المسرحي. ويشير الى انه قد تبنّى في هاتين المرحلتين فلسفة مسرحية جديدة بحيث ابتعد عن المضامين الفكرية والعناصر المبنوية الاصلية في القصة، فكان الحوار المسرحي حوارا جديدا لا صلة له بالحوار القصصي، واصبح منطلق المسرحية موقفا واحدا



الدكتور يوسف ادريس

من مواقف القصة بنى عليه سلسلة من المواقف او حبكة خيالية متشعبة، امّا الراوى، ضمير المتكلم في القصة فانه يتحول الى راو ــ مشارك او راو ــ بطل ولي راويا ــ شاهدا على غرار "جمهورية فرحات".

وفي الفصل الاخير يسجّل البروفيسور سوميخ ملاحظتين هامتين حول بحثه، أولاهما انه ليس شاملا ووافيا لكل العطاء المسرحي الذى ابدعه يوسف ادريس الذى تعاظم اهتمامه ــ كما يقول المؤلف ــ بهذا الفن منذ نهاية الخمسينات كجزء من تصاعد الحركة المسرحية في مصر، واصبح واحدا من ابرز كتّاب المسرح المصرى المعاصر، وخاصة نتيجة "لطلائعيته" في خوض التجارب المسرحية "الغريبة" ومفاجأة الجمهور باساليب ومضامين غير مألوفة. وثانيهما "اقراره" بان مقارنة القصة بالمسرحية المكتوبة، وليست الممثلةعلى خشبة المسرح فيه شيء من الاجحاف للكاتب. ويقول: "لذا فمن المحتمل اننا لو شاهدنا المسرحيات التي تناولناها بالبحث على خشبة المسرح لتغيّرت نظرتنا اليها، ولربما كانت نظرتنا الجديدة اكثر حماسا مما هي عليه الان، ولكن هذا القصور لا مفر منه بالنسبة للباحث الذى يتناول النص المسرحي المجرّد" (ص ٧٤).

ومع هذا، لا شك في ان البروفيسور سوميخ قد استطاع في هذا البحث المتواضع تحديد مقومات الفن القصصي والفن المسرحي عند ادريس ومدى براعته فيهما، واكتشاف ما يسميه "بالعمليات" الفنية الهامة كالتوليد واثرها على العمل الادبي الاصلي والمولد. اضف الى ذلك النتيجة القيّمة التي خرج بها المؤلف، من أن يوسف ادريس، وهو الذى مارس مختلف الادوات التعبيرية من مقال وقصة قصيرة ورواية ومسرحية، والذى صرّح بان المسرحية أصبحت عنده "اقدس الاشكال الفنية وامتعها" لم يرق بمسرحياته، المستقلة والمولّدة، على الرغم من ريادته وتجريبيته الطلائعية فيها، الى تلك المكانة المرموقة التي بلغها بالقصة، اذ انه يظل، كما يعرّفه البروفيسور سوميخ "كاستاذ الاقصوصة العربية الحديثة بلا منازع" و "أحد كبار فنانيها في الادب العالمي اليوم" (ص ٧٢).

ان اسهام البروفيسور سوميخ بهذا البحث القيّم يشكّل لبنة اخرى هامة ترمى الى جانب اللبنات السابقة التي ارساها في دراسة اعمال يوسف ادريس وغيره من كبار الادباء العرب، دراسة مبنوية ــ شكلية، على الغالب، تسد النقص البارز في التناول النقدى العربي لهذه الناحية التي لا يحفل بها قدر احتفاله بالناحية المضمونية ــ الموضوعية فقد أصدر أيضا باللغة العربية على سبيل المثال لا الحصر، كتاب "دنيا يوسف ادريس من خلال اقاصيصه" (١٩٧٦)، و "دنيا نجيب محفوظ" (١٩٧٢) و "المضارعة في اسلوب القصة العربية المعاصرة ــ مطالعة فى "حكايات حارتنا" لنجيب محفوظ" (١٩٨٠)، وكتاب آخر سيصدر قريبا، وقد نشرت فصول منه، بعنوان "لغة القصة عند يوسف ادريس"، بالاضافة الى ابحاثه ودراساته الاخرى بالعربية والعبرية والانكليزية، التي يضيق المجال هنا عن بيانها بالتفصيل.

رحلة في التراث

صدر في بغداد مؤخرا كتاب "فهرسة المخطوط العربي" عن وزارة الثقافة والاعلام للكاتبةالعراقية ميرى عبودى فتوحي المحاضرة في الجامعة المستنصرية في بغداد، حاملة الماجستير في علم المكتبات. وهو الاصدار الرابع في قائمة مؤلفاتها.

يتناول الكتاب المشكلة التي تواجه الباحث المكتبي، وهي كيفية فهرسة المخطوطات العربية. وقد حاولت المؤلفة كما ذكرت في المقدمة أن تضع "تصورا شخصيا مبنيا على النظرة العلمية ومستندا على التجربة الشخصية الطويلة". وقد مهدت الكاتبة للبحث بتقديم عن المخطوط العربي وكتابته، وعن حركة التاليف والترجمة وصناعة المخطوط وكتابته مع الاهتمام الخاص ببعض النواحي الفنية (الرسوم، الزخرفة، التذهيب ..)

فهرسة المخطوط العربي

تأليف ميري عبودي فتوحي



احداث ★ نشاطات ★ منشورات ★ من كافة ارجاء العالم ..
تصل الينا اخبارها عبر الجو .. وفيها ما يشد الانتباه ...

باليات سوفياتية جديدة

يتفوق الاتحاد السوفييتي على اقطار العالم في كثير من الميادين العلمية والثقافية ..

وثراء ثقافته الاشتراكية تعود الى انسانيتها الواقعية .. وجماليتها الفنية .

وتبرز اكثر ما تبرز الثقافة السوفييتية في ميدان الرقص الشعبي والكلاسي .. وبخاصة الباليه ، هذا اللون الرائع من الرقص الكلاسي الذي يتسم بالحركة الرشيقة والسحر .

لقد حافظ الباليه السوفييتي على ابدع ما خلفه عهد ما قبل الثورة الاشتراكية الكبرى من تراث كبير ..

ولكن القيمين على هذا الفن المثير لم يكتفوا بنسخ منجزات العهد السابق بل طوره باستمرار في اتجاهين .. رفع مستوى الباليات القديمة حتى تصل الى اقرب ما يمكن من الكمال . وانتاج باليات جديدة بمواضيعها وأساليب ادائها ..

وقد اختار المخرجون في بعض الاحيان مسرحيات وقصص كلاسية ـ روسية واجنبية ـ الا انهم اضفوا عليها مفاهيم اجتماعية ، هي من طبيعتها حتى لو لم يلتفت اليها غيرهم في الاقطار الرأسمالية .

ومن احدث هذه الباليات ـ باليه جون أوف ارك ـ البطلة القومية الفرنسية في القرن الخامس عشر .. و"ماكبث" مسرحية شكسبير .

جون اوف ارك

اخرج جون اوف ارك الراقص ومدير المرقص اللينينغرادي المعروف ك . سيرجفيف ، ولحن موسيقاها الملحن الموسكووي نيقولاي بيكو ..

وقامت بدور جون او ارك الراقصة المتمرسة (بالارينا) جالينا كرابيفنا .

لقد ظهرت جون او ارك ـ الراعية الفلاحة الفرنسية في فترة حرب المئة سنة التي اجتاحت أوروبا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر واحتدمت بين انكلترا وفرنسا ..

وحسب القصة زعمت جون انها سمعت دعوة الالهية تدعوها الى انقاذ فرنسا من الاحتلال الانكليزي . ولبت جون النداء . وقادت القوات الفرنسية من نصر الى نصر .. ولكن المتزعمين الاقطاعيين الفرنسيين تخوفوا من اتساع نفوذها ومن سعيها لتوحيد فرنسا تحت العرش البربوني فسلموها الى الانكليز ، وهؤلاء الفوا محكمة تفتيش (اشتهرت محاكم التفتيش الدينية آنذاك بصيد الساحرات والقضاء على كل مظهر من مظاهر التنوير) . حاكمتها وحاولت أن تفرض عليها "التوبة" والتراجع عن ايمانها بالدعوة الالهية ..

وحين اصرت جون على دعوتها حكمت المحكمة عليها بالحرق ...





فاحرقت . . . وبعد اكثر من قرن كرستها الكنيسة الكاثوليكية ـ التي تالفت محكمة التفتيش ببركتها ـ قديسة .

والمعروف ان موضوع جون شائع في الادب الفرنسي والعالمي . . وقد تمحورت حول شخصيتها القصائد والمسرحيات والقصص . . ومن اهم تلك المسرحيات ، مسرحية برنارد شو ـ "جون اوف ارك " .

واما الباليه السوفييتية الجديدة فكانت اصيلة فلم يخرج احد قصة جون بهذا اللون من الوان الفن الدرامي . .

وقال مخرجها سرجييف في معرض تفسيره دوافعه للمبادرة الى هذا العمل . . :

"اسهم كل قرن بشيء ما في تفسير او تاويل قصة جون . . نحن حاولنا ، عن طريق الرقص ان ننقل الى النظارة جو حرب المئة سنة الكئيب . . هذه الحرب التي احتدمت بين انكلترا وفرنسا . وقامت جون ، الفلاحة بدور بطولي . .

"لقد حاولنا ان نصوّر حبها الماساوي وموتها بامر محكمة التفتيش . ويؤكد العمل الفني ـ الباليه ـ قوتها الروحية ، وانسانيتها والخيانة التي اصابت بلادها فرنسا"

ماكبث

اخرج باليه "ماكبث" وقام بالدور الرئيسي فيها الراقص المشهور ـ ولعله الاول ـ فلاديمير فاسيليف . ولحن موسيقاها الملحن القدير كيريل مولخانوف .

وتعتبر مسرحية وليم شكسبير "ماكبث" اعنف مسرحياته الدرامية . ويعود خلودها الى انها تصوّر ملابسات الصراع السياسي ـ الاجتماعي الناجم عن الطموح الاسود والغيرة العميقة . . فهي ترسم طبيعة كونية لازمت المجتمعات الانسانية الطبقية .

فالمسرحية تروى قصة القائد العسكرى "ماكبث" الذى تحضه زوجته "ليدى ماكبث" على قتل ملك "دانكن" ليحتل مكانه . .

وساعدت الساحرات "ماكبث" على الانزلاق الى هذه الجريمة بايهامها اياه أن ذلك هو قدره . .

وبعد أن يقترف "ماكبث" الجريمة ويجلس على العرش (الاسكوتلندى) . . تنهار "ليدى ماكبث" من هول الجريمة وتبكيت الضمير الذى أعقبها . . ويسقط "ماكبث" صريعا في المعركة التي يحارب فيها انصار الملك دانكن ـ أنصار الشرعية .

وقال الملحن مولخانوف في معرض حديثه عن اختياره تلحين هذه الباليه :

"جذبتني دائما الصراعات ذات الطبيعة الكونية والصدامات بين الشخوص الرئيسية فيها . ففي هذه المرحلة قدّم شكسبير هذه الشخوص باقصى حد من العمق والخصائص المميزة . واثار اهتمامي في هذه الماساة الدرامية عمقها الفلسفي والانفعالات السوداء التي عصفت في نفوس الشخوص الرئيسية" .

وقال فاسيليف :

"لم يجرب احدا من قبل اخراج "ماكبث" في "باليه" . . وفي رايي أن من الممكن ترجمة هذا العمل بالرقص بصورة حسنة . ان "ماكبث" هي من أعنف مسرحيات شكسبير الماساوية ولكن بالكاد توجد "باليه" لا يتخللها موت . ان محورها يدور حول الصراع بين الخير والشر . وهذا الموضوع المشحون بالماساة يصلح للمسرح بالوانه . " .

وغيّر فاسيليف في نهاية المسرحية . . ففي "الباليه" لا يسقط "ماكبث" صريعا في المعركة مع انصار الشرعية . .

وقال موضحا رايه : "لا تصرع "ماكبث" يد انسان فموته الاخلاقي اشد رهبة من نهايته الجسمانية . . فلا يستطيع انسان أن يستمر في البقاء ونفسه مثقلة بعبء جريمته الرهيبة . وهكذا حين تمضي "ليدى ماكبث" بعد أن يرهقها حتى الموت تبكيت ضميرها يبقى "ماكبث" وحيدا لا يستطيع الاحتفاظ بالتاج الذى اقترف من اجله جرائمه العديدة . . وهكذا تنتهي الباليه وقد اغرته الساحرات ليشاركها في رقصتها الشيطانية . . وهذا يرمز الى عبث مساعيه . " .

وجدير بالذكر ان العام الفائت شهد انتاجا جديدا في الباليه تمحور حول مسرحية انطون تشيخوف "النورس" وقدمها مثل هذين الانتاجين مسرح بولشوى الذائع الصيت .



زياد الرحباني «ضد» البوطة المسرحية

زياد الرحباني:

قانون العرض والطلب يتحكم بالفن
تكاثرت الصالات ولم يتقدم المسرح

من الملاحظ أن النشاط المسرحي زاد في الفترة التي أعقبت الحرب اللبنانية. . اصلا يمكن أن نلاحظ ايضا ان عدد قاعات المسارح قد ازداد أيضا او عدد صالات السينما قد ازدادت، لان مسارحنا كلها هي قاعات سينما في الاساس. . . .

ماذا يعني هذا الواقع؟ . . . هل هو تصاعد الحركة المسرحية. . أعتقد ان هذا الواقع يمت بصلة لا من قريب ولا من بعيد بهذه الحركة المسرحية. . .

بطبيعة الحال، الحرب وقعت، ولكل حرب تاثيرها، وفي بلد كان لا يتوقع فيه حرب، التاثير أكبر. . في الاذهان . . الحرب صار لها مكان في ذهن المجموع خاصة انها مستمرة بشكل مختلف وآثارها عالقة بقدر ما انها لم تحسم. وكل ما نشهده ونعيشه هو عبارة عن هدنة طويلة ربما جدا. . هنا طبعا كانت المادة الخصبة و"المغرية" لاى شخص كان يعتبر عادة كاتبا مسرحيا. . .

سيرة الحرب اليوم في كل مكان، في الشارع، في الحديث، في التفكير، اذن بمعنى آخر سيرة الحرب في التداول اليومي "والطلب" عليها موجود (تماما كما ان الفيديو يتكاثر عليه الطلب واصبح اى شخص يستورده في هذه المرحلة يتوفق بشكل شبه اكيد) . . المقصود هنا ان ظاهرة تصاعد الاعمال المسرحية مردها الى ان عددا من اللبنانيين (ليسوا بالضرورة فنانين) استيقظوا على الربح الذى يمكن ان يدخله هذا الباب، اى "المسرح" في ظروف كالتي نعيشها خاصة وان المواطن من اية فئة كان، بحاجة وفي اى لحظة، لتفسيرها لايضاح ما لراى ما، لاى كلمة تاتي زيادة او تضيف شيئا على ما يعرفه ويفهمه عن الحرب اللبنانية، من هنا اهتمامه الطبيعي بكل ما يعالج هذه المسالة وخاصة اذا وردت المعالجة على خشبة مسرح (اى مع تسلية اضافية، لان في كل المسرح تسلية ايضا) . . .

من هذه المنطلقات نزلت على المواطن كل هذه الاعمال المسرحية وبكثافة. ولقد نجحت نسبيا كلها، نجحت بمعنى انها لم تخسر ماديا "البوطة" التي قامت بها، فالاقبال

وفاة المخرج السوفياتي مارك دونسكوي



ولد في ٩ آذار ١٩٠١ في آوديسا، تابع في البداية دراسة الطب، واهتم بالقضايا النفسية وآليات الدماغ البشرى، لكنه تحوّل فجاة الى اهتمامات اخرى. انتقل الى دراسة الحقوق. واستغرقته اهتماماته الحقوقية دون أن يتخلى عن ممارسة الملاكمة ودراسة الموسيقى في اوقات فراغه. كما كتب في الفترة نفسها، مسرحية وعددا من السيناريوهات السينمائية.

كان دونسكوى في التاسعة والعشرين من عمره، عندما حقق ايزنشتاين، على التوالي: "الدارعة بوتمكين"، و"اكتوبر"، بمناسبة الذكرى العاشرة للثورة الاشتراكية. وما كان باستطاعة

على هذه الاعمال كان عفويا، ومن هذه الزاوية زادت كمية المسارح والمسرحيات والمسرحيين... وكلهم طبعا متأثرون جدا بالحرب وبهم معالجتها باى طريقة...

تقدم ؟؟ - لا يوجد شيء اسمه تقدم... ولا علاقة للتقدم بكل هذا الموضوع.. الحرب "مستعملة" على المسارح بكل ما فيها من حيثيات وتفاصيل ممكن ان تجلب الجمهور الذى تهمه هذه الحرب التي غيّرت كل مسار حياته وعلاقاته.. المسارح تكاثرت فقط؟... كلا.. كل شيء تكاثر بحسب الطلب وبحسب التغييرات الجغرافية. وتمركز "الطلب" في مواقع ونقاط حسب تقسيم المناطق والفرز الاجتماعي القبلي الذى حصل.. المطاعم ازدادت ايضا... حركة العمار والسكن ازدادت ايضا لان المتضررين في منازلهم والمهجرين من بعض المناطق زادوا وهم بحاجة الى بيوت. السيارات المستعملة في سويسرا والمانيا ازدادت ايضا، فاسعار الجديد من السيارات مرتفعة والعالم تريد سيارات.. الاغاني الوطنية ازدادت، بقدرما ان المغتربين والمهاجرين مرحليا يبكون على الوطن ويدفعون للنداب الذى يندبه.

"فصول عراقية" و"قصيدتان"

لنبيل ياسين

صدر عن رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين كتاب "فصول عراقية" لنبيل ياسين في ٣٠ ص. من الحجم الصغير.

كما صدرت له مجموعته الشعرية الثالثة بعد "البكاء على سلة الاحزان" (بغداد ١٩٧٠) و"الشعراء يهجون الملوك" (بغداد ١٩٧٨) وهي بعنوان "قصيدتان" وتحتوى المجموعة الجديدة على قصيدتين للشاعر "الاسئلة" و"موت ياسين" كتبتا بين نيسان وتموز من عام ١٩٨٠.

ومن اجواء المجموعة نختار هذه الابيات من قصيدة "موت ياسين":

"ومضى ياسين وفي نفسه
ان يرجع أصغر ابنائه من نفيه
في الفجر، سمعت صياح الديك
وقلت



هذا اول فجر لم يسمع فيه
صياح الديك
وكنت اشاهده فوق الارض،
مسجى ويبتسم
قلت له: في الصبح، سيبدا
نفي وسجون.
اذا مت
ولن تبصر كيف يحاصر هذا
البيت القتل و ...)

دونسكوى ان يظل في هامش هذا النشاط. كان شديد الحماسة، وكان لديه الكثير ليقوله، فاغرته احدث وسائل التعبير والاتصال بالجمهور الواسع.

وعندما قرر أن يعود الى البداية فانتسب الى مؤسسة السينما في موسكو حيث تابع الدروس الى جانب ايزنشتاين..

وكان اللقاء الصاخب بين هذين الفنانين الكبيرين، كانا من جيل واحد تقريبا، لكن بطباع مختلفة اختزنت بتجربة تاريخية متوازية منذ احتضار النظام القيصرى حتى الخطوات الاولى للنظام السوفياتي الفتي، مرورا بسنوات الثورة والحرب الاهلية، واحدهما جمع الى موهبته السينمائية شخصية المنظر، والاخر في سعيه المتواضع باتجاه تحسين الشكل وباتجاه المؤثر، ترك العنان لدواخله، مع كل ما يفترضه ذلك من حب للانسان، ومن شاعرية وصحة. كذلك اعجابه بغوركي، وما يمثله هذا الاعجاب من فرادة في الطبع، وبتمائل شخصي، حميم، وعميق مع المأساة التي يعبّر عنها أدبه. بالنسبة له، كل شيء ينطلق من الانسان، المأخوذ في حقيقته المتعددة الابعاد، العاطفية، السيكولوجية، الاجتماعية، ثم كل شيء يعود الى الانسان بهدف اغنائه، وهذا ما يحدد اعماله، وهذا ما سوف يعمل على تنفيذه في اقتباسه للثلاثية الشهيرة: "طفولة غوركي، كسب العيش، وجامعتي (١٩٣٨ - ١٩٤٠)، هذه الثلاثية التي اكسبته شهرة عالمية.

بعد ذلك تاتي الحرب، فيشارك دونسكوى في هذه الانتفاضة الوطنية شاهدا على بطولة وتضحيات شعبه فيحقق "قوس القزح" (١٩٤٤) "غير الخاضعين" (عن رواية بوريس غورباتوف) حيث يصور الاحتلال النازى بكل وحشيته. وفي هذا الفيلم نلاحظ أن أسلوب دونسكوى يبدو اكثر قساوة وحدة، ليفضح الجريمة، لكنه لا يفتقد الغنائية ليشهد على الالام وتضحيات المضطهدين.

الصهيل

علي حسين خلف

هذا هو المؤلف الثالث الذى ينشره الكاتب الفلسطيني علي حسين خلف في اطار نتاجه الادبي.

امّا مؤلفه الاول مجموعة قصص بعنوان "خذوني الى بيسان" صدر في العام ١٩٧٧، وامّا الثاني فرواية "عصافير الشمال" صدرت في العام ١٩٨٠.

وفي الفترة بين هذين التاريخين اصدر الكاتب مؤلفا في الفن: "توفيق عبد العال" "فلسطين الوان وخطوط" ..ومؤلفين في التوثيق: "النهوض مرة اخرى، شهادات واقعية من تل الزعتر"، و"ابو سلمى زيتونة فلسطين".

و "الصهيل" ـ قصص تسجيلية، صدرت عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ـ فرع لبنان وتقع في ٧٢ صفحة من الحجم المتوسط وتجمع ثلاث قصص: الصهيل ـ كفرعنانه ـ الزورق..

وتسجّل هذه القصص معاناة ابناء الشعب العربي الفلسطيني عبر وضعهم في ثلاث حالات أو ثلاثة مواقف.. يجمع بينهما الكفاح الفلسطيني.

"فالصهيل" تصف المناضلين الثوريين.. و"كفرعنانه" تصف تعامل احد ابناء الضفة المحتلة مع واقع الاحتلال.. و"الزورق" تصف مجابهة بين زمرة من المكافحين الفلسطينيين والقوات الاسرائيلية.

ويتحلى الكتاب بصفة مميزة: بالواقعية الهادئة ويرفض الطنطنة بالبطولة الفائتة ـ ولا تريد أن نقول الزائفة.

ولعل اجمل هذه القصص التسجيلية هي "كفرعنانه" وتصف من ناحية شوق اللاجئة نجمة خضر الى رؤية قريتها الاصلية، رؤية تربة منبتها وملعب صباها ومقر تطورها العائلي قبل أن تموت.. كما تصف من ناحية اخرى تجاوب ابنها بشير مع هذه الامنية وهو الذى كان يعمل في احد مصانع اسرائيل وينتمي الى مقاومي الاحتلال..

لقد نجح الكاتب في لقطاته الاسرة حين وصف نجمة وقد تحققت امنيتها ورأت قريتها الخربة قبل ان تمضي من هذا العالم..

هكذا فعلا هي القرى العربية المهجورة: "بقايا منازل، وطرقات مهجورة، والعشب غطى المقبرة والجدران وساحة المطحنة"..

فعلا.."شاخت جدران الجامع وتعرى من بابه ونوافذه الخشبية، وتراكمت النفايات في ساحته وقرب المحراب.."

واصاب الكاتب ـ الناقد الفلسطيني فيصل دراج كبد الحقيقة الى حد كبير حين كتب يصمم طابع الادب العربي الفلسطيني وقصص علي حسين خلف التسجيلية.

"اذا كانت التجربة التاريخية للشعب الفلسطيني، لا تدخل في كتابة الحاضر الادبية، ولا نجد فيها "روايتها" فان الادب التسجيلي يروض تلك التجربة ويحاورها كي يدخلها في شكل جديد من الكتابة: كتابة ـ ذاكرة، تحفظ التاريخ وتصونه، وتعطي شكلا جديدا من الادب يندس بين التاريخ والرواية، وتمهد لكتابة قادمة تنقل الكلمة الادبية من التاريخ الى حقل الادب.

"ان مساهمة علي حسين خلف في مجموعته "الصهيل" هي اغناء للادب التسجيلي، وحفظ للتجربة الفلسطينية، ومداخلة كتابية لحفظ تلك التجربة. وفي هذه المجموعة فان علي يبدأ من تجربته الكتابية، ومن معرفته لما يكتبه. ولا ينطلق من الوهم بل من واقعنا الفلسطيني المعاصر، ومن هذا الواقع وفيه يرفض مجانية الكلمات، ويرسل كلمته التي تشير الى واقع يومي نراه ولا نراه، واقع ترسم فيه الكتابة حدود الحزن والصراع وتبشر بواقع بديل".



"الشهيد" سمفونية جديدة لوليد غلمية

يعكف الموسيقي اللبناني وليد غلميه على وضع سمفونية جديدة بعنوان "الشهيد". بعد أن قدم سمفونيتين هما "القادسية" و"المتنبي". وفي هذه الايام أيضا يعكف غلميه على وضع الموسيقى التصويرية لمسرحية يعقوب الشدراوى عن جبران خليل جبران.



وليد غلمية

قصيدة لسميح القاسم في كاسيت جديد لخالد الهبر: منتذكر

في اواسط نيسان صدر شريط جديد للفنان اللبناني التقدمي خالد الهبر والفرقة يحمل عنوان "منتذكر". ويضم هذا الشريط مجموعة من الاغاني الجديدة التي غنتها الفرقة في مناسبات وطنية عديدة. ويذكر ان هذا هو الشريط الخامس لخالد الهبر. وما يميّز اغانيه هو الاتجاه الواضح نحو العامية المتداولة كما ان الكتابة الموسيقية تاخذ اتجاها شرقيا



خالد الهبر

اكثر بتوزيع موسيقي مميز، وفي الشريط بعض الاغاني المغناه بعزف منفرد على القيثار.

على الوجه الاول سجلت الاغنيات التالية: "بنت الالف" كلمات جوزيف حرب و"دموعك يا امي ونشيد العمال" كلمات خالد الهبر و "زنابق لمزهرية فيروز" كلمات سميح القاسم و"سنبقى صامدين" كلمات سمير فياض.

وعلى الوجه الثاني سجلت القصائد: "نشيد كمال جنبلاط، وبكره منقعد نتذكر والمظلومين"، كلمات خالد الهبر، "سيدة القلب العاشق"، كلمات صالح عبود.

لحن جميع القصائد خالد الهبر ويقدمها مع فدى اديب والفرقة.

★★★

كتب صدرت في العالم العربي

◄ عن دار "الكتاب اللبناني" صدرت في بيروت اربعة كتب للدكتور عمر فروخ، وهي: "العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر المتوسط" و "التفوق في الاسلام" و "اخوان الصفا" و "العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط.

◄ "فلسطين واوروبا في دبلوماسية المواجهة"، كتاب جديد صدر عن دار الكلمة من تاليف خالد الحسن احد قادة منظمة فتح. يضم الكتاب، كما جاء في التعريف به: "مجموعة من المواقف والوثائق التي تسجّل بعض الملامح الاساسية لمسيرة الديبلوماسية الفلسطينية في اوروبا، والتي تكشف في الوقت نفسه عن مدى الجهد المبذول من اجل مواجهة العقل الاوروبي بحقائق الثورة الفلسطينية".

◄ عن "دار الاندلس" صدر في بيروت كتاب "قصة القوة الجوية الاسرائيلية" من تاليف موری روبنشتاين وريتشارد غولدمان، ترجمة محمد عبد الرحمن عطوه، يؤرخ الكتاب نشاة القوة الجوية الاسرائيلية والحروب التي خاضتها ويتضمن ملاحق عن تطور سلاح الطيران ومواصفاته. يقع الكتاب في ٢٢٤ صفحة من القطع المتوسط.

◄ بالتعاون بين وزارة الثقافة في جمهورية اليمن الدمقراطية ودار ابن خلدون، صدر كتاب "الحكايات الشعبية" من تاليف محمد احمد شهاب. ويتحدث الكتاب عن الحكايات والاساطير الشعبية في التراث اليمني.

◄ عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر صدر مؤخرا كتاب "فلسطين والانتداب البريطاني" (١٩٣٩ — ١٩٤٨) تاليف د. فلاح خالد علي، والكتاب يضم خمسة فصول، الاول والثاني توثيق لعلاقة بريطانيا بفلسطين في تلك الفترة بدءا من مؤتمر لندن مرورا بالكتاب الابيض البريطاني. اما الفصل الثالث فيتناول فلسطين خلال الحرب الثانية، والرابع يبحث التحول في العلاقة الصهيونية من بريطانيا الى الولايات المتحدة، ويتحدث الكتاب في الفصل الخامس عن القضية الفلسطينية بعد الحرب العالمية الثانية والخطوات التمهيدية للتقسيم وصولا الى اعلانه واقراره دوليا.

تراث

حول رواية "مقلح الغساني" للكاتب الفلسطيني نجيب نصار

بادر الاستاذ حنا أبو حنا الى نشر كتاب "مفلح الغساني" مؤلف أحد رواد الصحافة العربية الفلسطينية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل الحيفاوية التي صدرت قبل الانتداب البريطاني وخلاله..
و "الجديد" تنشر مقتطفات من مقدمة الاستاذ حنا أبو حنا وخاتمة أميل توما... ولعلها بذلك تثير شهية القراء أو شوقهم الى قراءة هذا الاثر الهام من آثار الكتاب الفلسطينيين القدامى..

نحن بحاجة الى نشر الوعي بأهمية البحث عن التراث

بقلم : حنا ابو حنا

توقف الاستاذ حنا أبو حنا عند أهمية التراث الادبي الذي ظهر في فلسطين قبل العام ١٩٤٨.. وأكد الحاجة الى أهمية البحث عنه..ودعا الى جمعه قبل الضياع.. وفي سبيل الاسهام في مهمة جمع هذا التراث ونشره قام باصدار مؤلف نجيب نصار "مفلح الغساني"..
ونجيب نصار صاحب الكرمل الحيفاوية نشر عددا من الكتب من بينها كتاب "الصهيونية" وروايتي "شمم العرب" و "في ذمة العرب".
ويلقي حنا أبو حنا أضواء على شخصية نجيب نصار فيستشهد بعدد من الكتاب العرب واليهود.. ويشرح دوره في النضال القومي الفلسطيني أيام السلطنة العثمانية والانتداب البريطاني ثم يتطرق الى المؤلف فيكتب :

يخيل لمن يقرأ اسم الكتاب انه رواية من نسج الخيال. وبهذا التصور اقبلت على قراءته حين عثرت عليه. ولكن سرعان ما يتكشف للقارئ المدقق ان العنصر الروائي الوحيد فيه هو اسم بطل الاحداث: مفلح الغساني، الذي هو في حقيقة الامر نجيب نصار نفسه. الذي يدون هنا مذكراته حين اضطر الى الهرب والتخفي في الناصرة، ثم الى الارتحال الى مضارب البدو... واخيرا الوصول الى دمشق...اما اختيار هذا الاسم فمتعمد ليؤكد عروبته بالانتماء الى الغساسنة ـ العرب النصارى. وفي اختيار اسم مفلح ما فيه من تاكيد صلته بالاعراب. وما فيه من التفاؤل. اما بقية الاسماء فكلها حقيقي، وكلها معروف لمن يحاول البحث. فنعمه الصفوري (ص ١١) (١) كان من وجهاء كفر كنا وقد سكن الناصرة وكان صاحب أوتيل فكتوريا. والقس صالح سابا (ص ١٤) كان قسيس الطائفة الانجيلية في حيفا، وكان كما رأينا من هذه المقدمة واحدا من الاعضاء المؤسسين لجمعية النهضة الاقتصادية العربية التي أنشئت في حيفا في شباط ١٩٢٢. والشيخ وجيه الكيلاني والد السيد سري (٢) (وقد عرفت هذا الابن الذي كان فعلا باشكاتب محكمة صلح الناصرة ـ ح ١٠ح ٠). وكامل قعوار الذي اختبأ عنده (مفلح) هو حفيد طنوس قعوار المعروف في تاريخ الناصرة، وكان يسكن في حي النمساوي وبيته ما زال قائما هناك. وأمين ابن كامل قعوار (ص ٢٦)، الذي تعلق بمفلح، هو أمين الحقيقي الذي انتقل فيما بعد الى شرق الاردن وأسس فيها مشاريع اقتصادية هامة وعبدالله مخلص (ص ٦٠)، هو الكاتب والمؤرخ المعروف (١٨٧٨ـ ١٩٤٩)..وهكذا كل الاسماء الاخرى هي أسماء حقيقية، وكل الوقائع حقيقية.

لقد حاول الكاتب ان يضفي مسحة روائية على السرد، فاستخدم الحوار في كثير من المواقع، وروى

رواية مفلح الغساني

او صفحة من صفحات الحرب العالمية

تأليف نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل – حيفا

الحوار بلهجة قائلية، سواء كانت اللهجة والتعابير البدوية – حين كان مختبئا عند اصدقائه من البدو، أو الالفاظ والتعابير التركية حين كان المتكلم تركيا. كما انه يكثر من استعمال الامثال والكنايات الشعبية التي تتردد في الاحاديث اليومية. واذا لم يدخل الكتاب في اطار الانتاج الروائي الادبي فانه وثيقة مثيرة تصور مرحلة هامة من مراحل تاريخ بلادنا، من خلال تجربة شخصية لمثقف عربي، له موقفه وله وجهة نظره، وله صلاته بالكثيرين من الاصدقاء وذوي الصلات.

ان الاحداث التي عاشها مفلح في تلك الفترة، والتي امتدت قرابة الثلاث سنين، غنية بعناصر المغامرة كما انها تستحضر عهدا حاسما من تاريخ بلادنا بكل توتره وكل ما كان ينطوي عليه من آلام وآمال.

ولا شك أن الكتاب مليء بالمتعة للقارىء العادي، وللدارس الباحث – لتلك الميزات المذكورة.

وقد رأينا ان نعيد نشر الكتاب متوخين الامانة العلمية، فابقينا الاخطاء اللغوية – حيث وجدت – على حالها، واشرنا الى التصحيح في الهامش. ومن ناحية اخرى رأينا أن نلحق بالكتاب ملاحظات موجزة توضح بعض الامور التاريخية، أو تعرّف ببعض المؤسسات او الشخصيات، التي يرد ذكرها، وكانت معروفة للقراء حين نشر الكتاب اول مرّة.

ولعل القضية التي قد تجابه القارىء هي كيف يقيّم موقف مفلح من الدولة العثمانية ؟

ولا بد هنا من الاشارة الى بعض النقاط التي يجب أخذها بالحسبان قبل أن تصدر الحكم، فلا يمكن أن يكون الحكم دون اعتبار الظرف الذي عاشه الرجل آنذاك، او اعتبار التيارات والاعتبارات السياسية المختلفة التي كانت سائدة في حينه.

فمن الظلم ونحن نقف اليوم بعيدا زمنيا عن الاحداث، وبعد تكشّف تلك الاحداث أن نحكم (و"حكمتنا" مستمدة من رؤية الما بعد) على من عاش في غمرة الاحداث وكان ينظر اليها في خضمها وعبر ضغوطها الآنية.

ولتقريب حكمنا من الموضوعية يجدر بنا أن نستعرض المواقف المختلفة التي عرفت عن دعاة التحرر في البلاد العربية في ذلك العهد، ولذلك الحقنا جدولا موجزا جدا للتنظيمات القومية العربية التي نشأت بعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨، وحتى نشوب الحرب العالمية الاولى (راجع هذا الملحق في نهاية هذا

الكتاب) ، متوخين التركيز على موقف كل تنظيم من العلاقة بين العرب والاتراك، لنرى التيارات التي سادت آنذاك بين القوميين العرب في رؤية العلاقات العربية ـ التركية. واستعراض هذه المواقف يبرز أن جميع هذه المنظمات حين تأسست وباشرت النشاط رأت أن سعيها يتمحور في المطالبة باصلاحات ادارية، وأعطاء العرب حقوقا قومية وثقافية، في اطار من الدولة اللامركزية، مع التأكيد على الرابطة العثمانية. (مع العلم أن بعض هذه المنظمات غيّرت موقفها ابان الحرب)

ويشير الدكتور اميل توما الى هذه الحقيقة اذ يقول: "واستمر التمسك بالرابطة العثمانية حتى بعد قمع قادة جمعية الاتحاد والترقي حركات القوميات" (٣)، "وحتى حين اتخذت الحكومة العثمانية خطوات عدوانية نحو العرب عشية الحرب العالمية الاولى مثل ابعاد مئات الضباط العرب عن الولايات العربية، واعتقلت احد كبار الضباط العرب عزيز علي (أو عزيز المصرى) واتهمته اتهامات ملفقة، وكادت تعدمه لولا الرأي العام العربي الذي أنقذه، وحتى في هذا الوقت استمر القوميون العرب علنا وسرّا يعلنون تمسكهم بالدولة العثمانية ويحذرون من القيام بأى عمل يهدد استقلالها." (٤)

ولذلك فان روءية الصلة العربية بالدولة العثمانية لا يستهجن عند نجيب نصّار، في ذلك العهد الذي كانت فيه هذه الروءية أمرا سائدا لدى مختلف العناصر القومية. ويبدو من الشخصيات التي يرد ذكرها في هذا الكتاب انه كان على صلة بالشخصيات الوطنية المختلفة مثل المرحوم سليم الاحمد عبد الهادي (ص ٢٩) الذي كان من رجال حزب اللامركزية الذي اعدم في بيروت في صباح ٢١ آب ١٩١٥، وقد ورد في الايضاحات التي قدمها جمال باشا عن المحكومين انه: "كان معتمدا للامركزية في قضاء جنين" (٥)، كما يشير الى الكثير من الشخصيات الاخرى ومواقفها، الا انه كان يعتبر نفسه من "المعتدلين" الذين "كانوا يعتقدون أن حياة الدولة وقوتها قائمة على اتحاد العنصرين العربي والتركي واعتراف كل عنصر لشقيقه بحقوقه الطبيعية" (ص ٥١).

ولا يمكن اصدار حكم حقيقي حول مواقف نجيب نصّار السياسية دون العودة الى مجلدات "الكرمل" ورصد تلك المواقف عبر مختلف السنين والاحداث. ان هذا التحدّي ماثل للدارسين، ونعتقد أن جهود هذا الرجل، ودوره، جديران بتلبية هذا التحدّي.

ولما لم يكن هدفي هنا ان اقدم تقييما لمواقفه تلك، اذ انني لم اقم بدراسة مفصلة لها، أردت ان اقدم للقارئ المواد الاساسية بشكل موضوعي حتى يتاح له ان يحكم بنفسه، في الاطارات المعطاة، وان استثير همم الدارسين لتحقيق دراسة علمية موضوعية قدر المستطاع.

الاشارات

========

١) الاشارة الى الصفحات في الطبعة الاصلية.

٢) راجع كتاب "السجل الذهبي للعالم العربي" تأليف ابراهيم كريّم (ص ١٨٣) حيث يذكر أن "المغفور له سماحة الشيخ محمد وجيه زيد الكيلاني كاتم اسرار المشيخة الاسلامية ومدقق المؤلفات الشرعية في زمن الحكومة العثمانية وكان شيخا للاسلام ومندوبا للخلافة في جزائر الفلبين، وكان رحمه الله عضو شرف في "نيوشنال برس كلوب" في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة، أمّا ابنه سرّى فولد سنة ١٩٠٦.

٣) تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديث/ ج١، ص ١٣٨.

٤) المصدر السابق، ص ١٥٢.

٥) أورد النص امين سعيد في كتابه "الثورة العربية"، ج١، ص ٦١.

— الانقلاب —

انتعش مفلح بعد ان مرت به هذه الفكرة وتشجع كثيرا وجرى الدم في عروقه وقام وصار يمشي في الغرفة ذهابا وايابا بسرعة ليطرد البرد واخذ يفكر بأن موقفه امام التحقيق والديوان العرفي يجب ان يكون مشرفا لنفسه وللعرب، وتذكر خطابه لجمال باشا الصغير وخطر له ان الجرأة الادبية لها تأثير كبير على ادمغة رجال القضاء والحكومة الشريفة فانقلبت بهذه الخواطر مخاوف مفلح الى سعادة وقضى بقية ليله سعيدا بخيالاته كأنه بين اهله واخوانه

رواية ترصد مرحلة حاسمة في تاريخ هذه البلاد

بقلم : الدكتور اميل توما

احسن الاستاذ حنا ابو حنا صنعا حين بادر الى نشر رواية "مفلح الغساني" التي الفها احد رواد الصحافة العربية الفلسطينية — نجيب نصار — صاحب جريدة الكرمل في حيفا.

ونقول احسن صنعا لانه اراد بذلك جلو بعض التراث العربي الفلسطيني وتذكير الخلق بما حققه السلف..

لقد اصبح حفظ التراث العربي الفلسطيني عاملا هاما في بلورة الهوية القومية العربية الفلسطينية، وتكثيف زخم الحركة القومية الفلسطينية.. فلم يعد خافيا ان الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية، بغض النظر عن منطلقاتها وقدراتها واهدافها تتلاقى عند محاولات تبديد حتى مجرد وجود الشعب الفلسطيني.. وبالتالي حقوقه القومية.

صدق الاستاذ حنا ابو حنا حين قرر ان الرواية لا تعدو ان تكون بضعة صفحات من سيرة حياة نجيب نصار الغنية بالنشاط السياسي والاجتماعي.

فلا جدال في ان الصحفي نصار روى في هذه الرواية معاناته خلال الحرب العالمية الاولى وبذلك خدم التاريخ القومي العربي العام والتاريخ الفلسطيني القومي الخاص.

وليس من الضروري هنا تقويم هذه "الرواية" — او على الاصح هذه السيرة الذاتية على قواعد الفنية الروائية او الجمالية الادبية.. اذ ان كاتبها نجيب نصار لم يهدف الى الدخول بها الى حرم الادب بمفهومه المحدد انما اراد ان ينقل اجواء المناخ السياسي — الفكري الذي عاش في ظروفه القوميون من امثاله في فترة عاصفة من تاريخ المشرق العربي، مثلت نقطة تحوّل في تطوراته المستقبلية.

ويجدر عند هذه اللحظة ان نحدد موقف القوميين العرب الذين تنظموا في عشية الحرب العالمية الاولى وناضلوا من اجل اللامركزية في اطار الدولة العثمانية.

هؤلاء راوا في اللامركزية الاسلوب الامثل لممارسة الحكم الذاتي وتنمية هويتهم القومية العربية في حرز من الاطماع الامبريالية الاوروبية التي اتضحت ملامحها بقساوة.

بداهة ان اندلاع الحرب العالمية الاولى في خريف ١٩١٤ واصطفاف الدول الامبريالية في جبهتين متصارعتين، طرح امام القوميين العرب قضية المستقبل.. وكان عليهم ان يجيبوا عن السؤال: ما العمل ؟

واجابت "جمعية العربية الفتاة" — منظمة القوميين العرب الرائدة في سوريا الطبيعية — عن هذا السؤال بقرار جاء فيه:

"ينتج عن دخول تركيا الحرب ان مصير الاجزاء العربية في المملكة العثمانية باتت مهددة بخطر شديد فيجب بذل اقصى جهد لضمان تحررها واستقلالها. لقد تقرر كذلك انه في حالة ظهور مطامع اوروبية في هذه الاجزاء ينبغي على الجمعية ان تعمل الى جانب تركيا في سبيل مقاومة النفوذ الاجنبي مهما كان نوعه"..

واتخذت مثل هذا الموقف جمعية "العهد" الناشطة في العراق.

لا جدال لي ان هذا القرار جسّم مستوى القوميين العرب الايديولوجي في تلك اللحظة التاريخية. لقد اعربوا عن مطامعهم في التحرر والاستقلال وبخاصة بعد ان نسفت قيادة الدولة العثمانية اسس التعاون بين قوميتي الدولة: التركية والعربية — بسياسة التتريك الشوفينية.. وفي الوقت نفسه ابدوا سذاجة بل غباوة سياسية حين اشترطوا العمل الى جانب تركيا في حالة ظهور المطامع الاوروبية.. فالمطامع الاوروبية كانت بارزة للعيان اقتنع بها القوميون العرب انفسهم واعلنوا حذرهم منها في مؤتمرهم الاول — المؤتمر العربي — الذى عقدوه في باريس عام ١٩١٣..

ومع هذا فليس من الحق ان نحكم على هؤلاء القوميين بمنظار الوعي الفكري الذى نما فيما بعد في خضم معارك التحرر القومي في اعقاب الحرب العالمية الاولى..

انما علينا ان نلاحظ ان القرار اعرب عن التناقض في رؤية اولئك القوميين الذين انتمى اليهم نجيب نصار..

وهذا التناقض يؤلف العمود الفكري في رواية "مفلح الغساني" او سيرة نجيب نصار الذاتية خلال سنوات الحرب حين اختفى نصار خوفا من نقمة السلطات العثمانية منه لارائه السياسية..

مفلح — نصار — وقد تربّى على فكرة اللامركزية — يحدد موقفه على الوجه الاتي بعد ان قرر الاختفاء:

"لم يكن الغساني يريد الخروج

من البلاد خوفا على أولاده ولــئلا تضيّق الحكومة على اخوته واصحابه. ولانه كان لا يزال يأمل بانعقاد الصلح ويتمنى اتحاد الاتراك والعرب اتحادا متينا لتقوى باتحادهما الدولـــة العثمانيــة وتقوى على الوقوف فــي وجه المطامع الاستعمارية في البلاد العربية." (الكتاب الاصلي ص ٢٧)

واما خلافه مع الحكم العثماني فنشأ عن حلف الدولة العثمانية مع المانيا وذلك لاعتقاده "ان حكومة الاتحاديين (العثمانية) ما اقدمت على اضطهاد العرب وخصوصا المسلمين الا بتشجيع الالمان للاتراك على السياسة العنصرية لان الاتراك لم يسيئوا الى العرب في الحروب التي خاضت غمارها العثمانية قبل هذه (الحرب)" (ص ٩).

ومن المؤكد أن مفلح ـ نصار آمن كغيره من القوميين بوعود الامبرياليين الانجليز.. ولهذا خلال محاوراته مع اصدقائه وزملائه.. ومع المسؤولين العثمانيين.. اعرب عن اعتقاده بان الاوضاع كانت تفترض تحالف الدولة العثمانية مع الانجليز لا مع الالمان..

ولعل افضل تعبير عن هذا الموقف ما قاله نوري بك في محادثته مع جمال باشا قائد وحاكم المنطقة العربية السورية بما فيها فلسطين دفاعا عن مفلح ـ نصار..

"ولا اكتمك انه عربي صميم وقد كان مواليا للسياسة الانجليزية ولكن هذا لا يعني انه يكره الاتراك او يشارك القائلين بالانفصال، هو يحب قومه العرب، ومن لا يحب قومه ويخلص لهم لا يستطيع ان يخلص لسواهم. هو يريد ان ينال العرب جميع حقوقهم من الحكومة ليحصل التفاهم التام وليتمكن الاتفاق بين عنصري الترك والعرب فتتألف منهما جبهة قوية في وجه الاستعمار.. وقد كان يميل الى موالاة الحكومة للانجليز لان اسطولهم قوى في البحر المتوسط وشطوطنا عليه من الاستانة الى مرسين مترامية الاطراف وليس لنا سوى خط حديدى ضيق للمواصلات بين الاستانة وسوريا والعراق تعتمد عليه في الحرب". (ص ١٥١)

وهكذا يظهر التناقض بين رغبة مفلح ـ نصار في اقامة جبهة قوية تقف في وجه الاستعمار.. ودعوته الى التحالف مع الانجليز الخطر الامبريالي الاكبر على الاقاليم العربية العثمانية..

ويتعمق هذا التناقض ازاء يقظة هذا القومي المخلص لقوميته على الاخطار الصهيونية..

لا نريد ان نغالي في الحكم ولكننا نستطيع أن نقرر أن مفلح ـ نصار كان بين القلائل الذين نبهوا الى هذه الاخطار..

ففي سيرته الذاتية ـ وهي تغطي فترة قصيرة جدا من حياته السياسية ـ الاجتماعية الضيقة والطويلة ـ يعود مرارا الى التنبيه الى هذه الاخطار..

كتب: "وفي الصباح زار مع صديق له المرحوم صبحي بك نشأت الجندى العراقي العربي الباسل الذى كان قائدا للفرقة العثمانية المرابطة بالناصرة، فتحدثا عن الحرب واعرب مفلح عما بداخله من الخوف على فلسطين والبلاد العربية من الغزوة الصهيونية التي لا يبعد أن تستفيد من الحرب" (ص ١١).

واغلب الظن ان تنسيبه التحالف مع الانجليز نجم عن نقص في معطياته حول الاوضاع الدولية..

وهكذا حين تسربت انباء وعد بلفور واهمته الشكوك في انجلترا واعرب عن مواجهة بهذه الكلمات الصادقة:

"احس مفلح بقشعريرة تمشت في عروقه وقال في نفسه: ايمكن ان يكون صحيحا ما قالته الجرائد عن ان الحكومة الانجليزية وعدت اليهود بان تعطيهم فلسطين وأن نكون نحن العرب مخطئين في تأويلنا هذه الدعاية واعتقادنا أن الاتراك يقومون بها ليضعفوا ميول العرب الى الانجليز وثقتهم بهم.

"اوغل مفلح في الحدس والتخمين وقال: هل يمكن ان يكون الشريف حسين وانجاله متواطئين على اعطاء فلسطين لليهود؟ فكيف يحاربون واياهم من اجل استقلال العرب، والانجليز وعدوا اليهود بفلسطين..

"ايمكن أن يكون الشريف وانجاله جاهلين هذا الامر؟ وكيف يجهلونه هم ونسمع به نحن في ظلمات السجون المنقطعة، عن الاخبار؟ ونعلم ان لليهود الايا خاصا يحارب باسم الصهيونية في صفوف الانجليز."

طبعا تنتهي السيرة الذاتية المرحلية بدون أن يتأكد مفلح ـ نصار من هذه الحقيقة.. على الاصح لا يعود المؤلف اليها.. ولكن المعروف انه تأكد من هذا الواقع.. ورسم طريقه النضالي على ضوئه في فترة الانتداب البريطاني على فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى.

ومن حق نجيب نصار علينا ان نقرر انه سلّم نفسه للسلطات بعد اختفاء طويل نسبيا لانه كان مطمئنا من طريقه ولم يرغب في أن يتضرر أولئك الذين ساعدوه على الفرار من وجه تلك السلطات التي تعقبته.

وتبرئته، بعد المثول امام الديوان العرفي، يشير الى ان هذا الجهاز العثماني، الذى امر بتعليق عدد كبير من قادة القوميين العرب على المشانق بتهمة التعاون مع الامبريالية الانجليز والفرنسيين، لم يجد شواهد او مستمسكات تدينه بالخيانة..

وهذا يدل على أن مفلح ـ نصار كان صادقا مع نفسه جريئا في موقفه عاش على ضوء فهمه مهمات القومي العربي في فترة شديدة التعقيد لم تبرز فيها الرؤيا الوطنية

الثورية التي انجلت بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى وافتضاح التآمر الامبريالي البريطاني — الفرنسي على الاقاليم العربية "العثمانية" المتمثل في معاهدة سايكس — بيكو التي وزعت تلك الاقاليم بين الدولتين الامبرياليتين — بريطانيا وفرنسا .

ونميل الى الاعتقاد ان مفلح — نصار لم يتحمس كثيرا لما يسمى "الثورة العربية الكبرى" التي اعلنها الشريف الهاشمي والي مكة الحسين .. فهذه "الثورة" كانت تساوقا اقطاعيا عربيا مع الامبريالية البريطانية . وافراد العائلة الهاشمية الذين وقفوا في قيادتها قاموا بدور مخرب في الحركة القومية العربية في أعقاب الحرب العالمية الاولى وخدموا الامبريالية البريطانية وساعدوا على اجهاض الحركة الوطنية الثورية في الاقاليم العربية العثمانية سابقا ، وبخاصة في سوريا والعراق .

وكلمة تقريظ ناقدة حول هذه الرواية ..

قلنا ان مؤلفها اراد ان ينقل اجواء المناخ السياسي الفكري الذى مرّت فيه البلاد في ايام الحرب العالمية الاولى ١٩١٠ — ١٩١٧ ..

وقد نجح في ذلك حقا .. وهذا يكتشفه القارئ ومفلح — نصار القوميين .. "الواعين" والمزايدين . ونقصد بالمزايدين اولئك الذين كانوا يريدون اعلان الثورة على العثمانيين .. ويكتشفه في تعقيبات الكاتب على الاوضاع القائمة .. وفي حواره مع المسؤولين في السلطة .

ونجح المؤلف مرّة أخرى في وصف تقاليد اهالي البلاد وتعاملهم الاجتماعي .. وكان واقعيا في رسمه حياته بين العرب — البدو والمعروفين بنجدتهم المستجير بمروءتهم الانسانية ..

ونعتقد أن السيرة شحّت بالاسلوب الدرامي مع انها سيرة ذاتية — الا ان القارئ المعاصر ، الذى اعتاد الادب العربي المتطوّر ، الفني بعمق معاناة الكاتب ، قد يرى في أسلوبها ولغتها سذاجة مفرطة واعتدادا بالنفس يفتقر الى بعض التواضع .

وكل هذا لا يقلل من قيمة هذا المؤلف الهام .. بل يزيده لان القارئ سيجده رصدا لمرحلة حاسمة من مراحل تاريخ هذه البلاد .

ولهذا نقرر مرة أخرى ان الاستاذ حنا ابو حنا احسن صنعا في اصدار هذا الكتاب وفي دعوته الى الاهتمام بالتراث العربي الفلسطيني .







الفولكلور الشعبي الفلسطيني ودوره في بناء الشخصية الوطنية الفلسطينية

اقام فرع اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في دمشق ندوة مؤخرا حول الفلكلور الفلسطيني حيث القى كل من الباحثين: حسن الباش، وعوض سعود عوض محاضرتين حول الفلكلور الشعبي الفلسطيني في بناء الشخصية الوطنية الفلسطينية، والاغنية الشعبية الفلسطينية لدى القبائل البدوية في فلسطين.

الشعر الشعبي أرخ نضالات الشعب الفلسطيني

بدأ الباش محاضرته باستعراض تاريخي لجذور الفولكلور الشعبي، وما قال:

"حتى عام ١٩٤٨ كان الشعب الفلسطيني يهتم بالأدب الشعبي أكثر من اهتمامه بالأدب الرسمي الحديث، فقد كان الشعراء الشعبيون يدونون ما يدور في القرى والمدن، ويؤرخون بأشعارهم نضالات الشعب الفلسطيني، وكثيرا ما كانت قصائدهم تقال في مناسبات تحوي في مضامينها الكثير من ملامح الصراع العربي — الصهيوني.

ولأن معظم القصائد يدور مما يجيش في الصدور، بما تختزنه مخيلة الانسان الفلسطيني من ملامح ثورية ونضالية.

بعد عام ١٩٤٨ اخذ الادب الحديث والشعر منه خاصة يفرض وجوده.

وعزا جذور الفلكلور الفلسطيني الى الكنعانيين القدماء من حيث المضمون. ثم انتقل الى مرحلة لاحقة حيث تأثر الفلكلور الفلسطيني بالفلكلور الشعبي لقبائل بني هلال ابان العهد الفاطمي، وقال ان اغانيهم لا تزال تغنى في فلسطين، ومعظم انحاء الوطن العربي، ومن هذه الاغاني "ميج يا ام الميج يا ابو الميجنا" و "ظريف الطول" "جفرا وياهالربع" وكلها من اغاني بني هلال.

ثم تطرق الى العروض في الغناء الشعبي، فبين ان العتابا تتبع البحر الوافر، أما الميجنا فتنظم على بحر الرجز، وهناك قصيدة شعبية كتبها احد المناضلين الفلسطينيين بفحمة من الفحم على جدار السجن ليلة اعدامه، يقول مطلعها:

"يا ليل خلي الاسير تيكمل نواحو".

اما اغنية الاطفال التي تقول: "طلليلو يا حمامة طلليلو نيام والراعي له الزيل الاخضر والوساد ريش نعام"..

نمي على بحر الرجز..

ثم تطرق الى الغناء الاغنية الشعبية الفلسطينية بمثيلاتها في سوريا ولبنان ليؤكد ان الفلكلور نتاج شعب واحد تربطه جذور واحدة.

وانتقل الى مضامين الاغنية الشعبية، كالتعلق بالارض، ومخاطبة الناس، والحيوانات الاليفة، والتغزل بالنساء، والتحدث عن العادات والتقاليد، وما يرافقها من حالات نفسية، ثم الاغاني التي تغنيها النساء القيام بالاعمال اليدوية، كاغاني البناء والحصاد والنسيج وغير ذلك.

ثم تحدث عن المدلول الوطني كأهم مضمون برز في الاغنية الوطنية قبل عام ١٩٤٨، ومن أشهر من كتبوا الاغنية الشعبية الوطنية: الريماوي، الاسدي والحطيني، والثلاثة دونوا لنضالات الشعب الفلسطيني ضد الانجليز والعصابات الصهيونية، عبر اغانيهم وقصائدهم فتحولت الدلعونا على أيديهم الى غناء وطني، كتلك الاغاني التي نظمها الحطيني على لحن الدلعونا في شهداء الثلاثاء الحمراء "حجازي والجمجوم والزير" منها:

"الي البلد طلعت جنازي احمد جمجوم وفؤادي حجازي"..

الفلكلور الفلسطيني هو نتاج الطبقة الكادحة

"عوض سعود عوض" عزا تأثر الاغنية الشعبية الفلسطينية الى البلد وبلاد الارض، نتيجة للعلاقات التي كانت تربط عائلتها بهذه البلدان.

واكد ان بدو فلسطين تحضروا قبل غيرهم من بدو المنطقة، وان المرأة كانت تمارس العمل كالرجل تماما فكانت ترعى الابل والاغنام والرعي بالزوابيس ونستقبل الضيوف، وبعد ذلك تخلت القبائل البدوية عن بعض عاداتها لصالح سلطة الرجل.

وانتقل "عوض" الى الرقصات البدوية المتنوعة، والتي تؤدى الى مختلف المناسبات، وأحصى بعددها، وبعرج طريقة ادائها.. ومنها:

— رقصة العالمي، ورقصة اللعبة، رقصة السامر، ورقصة الحنة، رقصات تشارك فيها الصبايا، وتقوم بدور اساسي فيها، ورقصة البرجاس ورقصة المرماح، ثم انتقل الى الدبكة البدوية، حيث ميزها عن باقي الرقصات، وتطرق الى بعض الاغاني الشعبية البدوية التي تغنى في مختلف المناسبات.

وتحدث عن زيغة اللباس للرجل والمرأة في المجتمع البدوي القديم، حيث كانوا يرتدون العباءة، وبعد ظهر التطرز على بعض ثياب النساء.

ثم تطرق الى النواح والحنين في الغناء البدوي وعزاه الى الحنين وطلل الحنين والحنين، حيث اخذ الحزن يظهر بعد هذه المآسي ثم انتقل اليها عن طريق العراق.

وتطرق الى ميزة الغناء البدوي وهي "المد الطويل في الالحان" "الهجيني والعتابا". وعزا ذلك الى طبيعة الصحراء التي لا يتجاوب الصوت فيها ولا يتردد كما في الجبال، حيث كان البدوي يشعر انه في حاجة الى ان يسمع صوته الى اكبر عدد من الناس، ولا يتم ذلك الا برفع الصوت ومده. عدا ذلك، كان حياة البدوي التي كانت تعتمد على الرعي والاقامة في الصحارى والجبال بعيدا عن المضارب العشائرية كانت تفرض عليه ان يغني بصوت مسموع في مؤنس نفسه باسماع صوته للمضارب، وتحدث عن الجذور الطبقية في الفلكلور الفلسطيني، واظهر ان الفلكلور هو نتاج الطبقة الكادحة باستثناء القليل منه كالقصيد الذي كان يغنى في حفلات الربابة، لمدح الشيوخ ووجهاء العشائر.

وبين كيف اخذت الطبقية تتلاشى بظهور "جيل القبيلة" وارتباط الفلكلور بالطقوس الدينية القديمة ثم الاستقرار في الارض.

بعد المحاضرتين، قام احد الحضور بأداء بعض الاغاني الشعبية كما قام "الحاج ابو خالد شحيحبر" بعزف منفرد على الارغول، حيث قدم مجموعة من الالحان الفلسطينية لاطرب الحضور بعزفه الرائع، تلاه حسن الباش باسماع الحضور شريطا مسجلا لعرس فلسطيني..

عن «فلسطين الثورة»

وما نسينا..

صرايع الموت.. من البروة الى مجد الكروم

سلمان ناطور

رضوان، الله يرحمه.. كان يمشي باب الكنيسة.. فقتلوه بدم بارد.

الاعلام الزرقا'/البيضا'/نجمة سليمان بن داوود/ترفرف خفاقة على مباني مدينة كرميئيل الرسمية/غير الرسمية، الشرعية / غير الشرعية. في ذلك اليوم جمعوا اطفال المدينة في ساحة المدرسة لينزل عليهم خطاب بوحبوط ـ بوزاغلوا ـ مسكوفيتش ـ بركوفيتش ـ يتمنى لهم في عيد الاستقلال أن يصبحوا ضباطا في الجيش.. وأن يكدوا ليعمروا الجليل، فعليهم أن يتكاثروا ويكثروا ويملأ'وا الارض بنسلهم.

أما الشيخ المشقق الوجه الذي نبحث عنه فيركب على ظهر حماره ويشد الرسن على عنقه ليوقفه عند شارة المرور: "قف.. واعط حق السير للقادم من جهة اليمين.. القادم من البحر.. من الغرب.. من الدردنيل.. من كازابلانكا.." ثم يواصل سيره عبر مرتفعات الليات لينزل الى ارض تمتد على ظهر مرتفع صغير.. تغطيها اشجار الصنوبر والسريس.. ورجمة حجارة.. كانت قرية كبيرة تسمى، يوما ما، "البروة".

ـ لو اولاد الحرام ما شرّدوا اهلها وما محوها لكانت اليوم اكبر من طمره.

في هذا اليوم من كل عام، يركب الشيخ حماره، ويقطع كرميئيل ويأتي الى هذه الارض. يأخذ معه رغيفا مطليا بالزيت وعلى الطريق يجمع ما يكفيه من الزعتر حتى انه اذا ما حط برحاله فتح الرغيف ونثر عليه وريقات الزعتر وتمنى لو يداهمه واحد من المحافظين على سلامة وامن الزعتر ليقول له:

ـ هذا الزعتر زعترنا.. غصب عن ابو..ابو..ابوك.

ولكن "تاتي الرياح بما لا تشتهي السفن" .. يجلس ينظر الى الشرق .. تتطاير خصلة من شعره تغطي جبهته التي تلمع في الشمس .. يجلس ينظر الى الغرب .. شمالي .. قبلي ..

ــ هنـا قتلوا رضـوان السكـس ..

كانت البروة محتلة، تركوا فيها ٥٠ شخصا كلهم من العجز، حشرهم جيش اسرائيل في الكنيسة واقام حولهم الحواجز .. رضوان .. الله يرحمه .. كان يتمشى في الليل .. رجل عاجز في الستينات من عمره، فقتلوه بدم بارد .. وتركوا جثته خلف الكنيسة ..

وظل الباقون في الكنيسة ينتظرون "ساعة الفرج" من "جيش الانقاذ" الذى قيل انه يسيطر على مرتفعات الليات ؟؟ لكن مضى اليوم الاول .. والثاني والثالث .. وشمس حزيران تلسع سنابل القمح التي تنتظر مناجل الفلاحين قبل "ان تصل حصادات اليهود وتحصد الغلة كلها" ..

لكن مضى اسبوع .. ولم يصل احـد .. فهجمت الات الحصاد من اوروبـا وامريكا .. ولم تترك حتى سنبلة واحدة ليداعبها النسيم الحامل انفاس الفلاحين الذين تجمعوا تحت اشجار الزيتون على الطريق بين مجد الكروم والبعنة.

وما نسينا..

جيش الانقاذ.. لا سبع جيوش ولا سبع فرق.. صوروا الحرب طوشة عمومية

يطلق الشيخ المشقق الوجه زفرة من اعماقه .. يمسح العرق الذى يتصبب عن جبهته .. بعد ان قطع الطريق الوعرية عبر مرتفعات الليات .. تذكر ذلك اليوم التموزى القائظ حين وصلت خبرية بان خورى البروة قتل في الكنيسة .. كان ذلك يعني ان كل العجز الذين ظلوا في الكنيسة .. قتلوا مع الخورى، حمل الشيخ، وكان في حينه شابا يافعا، يقطع الجبل تلو الجبل، دون ان يلهث، حمل "الناظور" وتوجه مع ابناء الخورى الى قمة مرتفع واخذوا يتطلعون الى القرية حتى اذا ما ظهر شبح الخورى بين البيوت المهجورة ووسط تحركات الجنود المدججين بالسلاح، ايقن ان القرية ما زالت بخير، على الاقل بيوتها ومن تبقى فيها ينتظر الفرج او حلول الساعة، ولم يطمئنهم في تلك اللحظة ان وصل القاوقجي ومعه اربعة ضباط بنجمتين او ثلاث نجمات .. وتطلع في "الناظور"، وامعن النظر وقال: تحرير البلـد لا يكلفني سوى شهيدين ولا اكثر .. خلال ثلاثة ايام تصل المدافع والمصفحات ونحررها ومنها نحرر المكـر والجديدة وعكـا ..

"يا عمي واللـه ما صدّقنا هالحكي .. كنا نعرف قوة جيش الانقاذ .. لا هم انقاذ ولا هم جيش منظم .. هالحكي اللي بيحكوه اليوم عن سبع جيوش عربية كله دعاية بدعاية .. لا سبع جيوش ولا سبع فرق ..

الرجعية صوّرت الحرب على الصهيونية والاستعمار كانها طوشة عمومية او بين عائلتين .. كنا نعرف هالحقيقة المرة .. فاجتمعنا وقررنا نحرر بلدنا بانفسنا .. خصوصا بعد ما انتظرنا ٣ ايام واربعة وخمسة واسبوع .. وما وصلت لا مجنزرات ولا مصفحات .. بعد ما يئسنا تجمعنا ورحنا طريق الوعر وهجمنا على القرية بقيادة شاب من شعب اسمه ابو اسحاق .. واجهنا مقاومة عنيفة .. لكن ارادتنا كانت اقوى من كل سلاح .. وتمكنا نحرر بلدنا .. سقط منا شهيد و ٢ جرحى ..

كان يوم عرس في حياتنا .. وكان درس تعلمناه: هالارض ما يحررها الا اصحابها .. لا ملوك ولا خواجات .. بالدم ولا بالشعارات الرنانة ..

يومها يا عمي، وقف كاهن البروة وقال للناس:

ــ يا اهل بلدنا، يا حبايبنا، الوقت مش وقت اغاني وزغاريد، الصهاينه رايحين يهجموا مرّة ثانية ويحتلوا البلد .. خدوا حذركم ..

وما نسينا..

قال لأبي اسحاق: اشكرك على هالمعركة بدون مصفحات. وانسحبوا من البلد.

حاول "الصهاينه" ان يهجموا، فردتهم فرقة من الاهالي ولاحقتهم حتى اوصلتهم وادى الحلزون .. ولم يكن بامكان اية قوة ان تنتزعهم ثانية من بيوتهم التي عادوا اليها يغنون ويزغردون .. لكن طريق الموت التي شقت في البروة كانت كان محتما عليهم ان يقطعوها حتى مجد الكروم .. عبر مرتفعات الليات او الوديان التي تخترق الجبال في اتجاه الاردن ولبنان .. والمعسكرات البشرية التي أصبح يميّزها الاطفال بثيابهم الممزقة وصراخهم الذى يشق الفضاء الى الشمس .. وامراة تبكي ابنها الذى راح ولم يعد .. والشبان الذين يتحسرون على تلك الساعة حين وقفوا لا مبالين ازاء ما يخطط لمصيرهم ومستقبل

بلدتهم . . ووسط تلك النشوة وبارقة الامل . . وصل قائد اردني بثلاث نجم وآخر عراقي بنجمة ومعهم جنود، سال احدهم:
— مين المسؤول عن المعركة ؟
فاشاروا باصبعهم الى شاب وقف صامتا، قلقا، بين مجموعة من الشبان .
— ابو اسعاف . . ابو اسعاف .
وضع يده بيد ابي اسعاف . . صافحه بحرارة وقال:
— اشكرك على هالمعركة العظيمة وتحرير البلد بدون مدافع ودبابات . . هذا دليل على صمودكم وتضحياتكم وحبكم لوطنكم . .
— لا شكر على واجب . .

يتوقف الشيخ المشقق الوجه عندما يحكي هذه الحادثة . . يفتح يديه . . ويضرب بيسراه بيمناه . . ويحرك راسه ويتمتم :
"لحد اليوم مش فهمان كيف ردّينا على الضابط لما قال لنا اتركوا البلد . . انسحبوا منها لانكم جيش غير منظم ويمكن يذبحوكم في بيوتكم . . اي والله يا عمي لو ذبحونا في بيوتنا اشرف من ترك بلدنا . . اشرف بمليون مرة . . وانسحبنا من القرية باوامر ضابط الانقاذ . . لكن ايدينا على قلوبنا . . كنا نشك في الطبخه . . وهذا اللي صار . . بعد يومين وصلت امي للبلد . . لتاخذ شوية موءن . . ما دخلت البيت وحمّلت الدابه . . والا جنود الانقاذ بينسحبوا منها من جهة الشرق . . دخلتها قوات اسرائيل وبداوا يمسحوا فيها . . هدموا البيوت والجامع والكنيسة . . حصدوها مثل ما حصدوا القمحات . . علشان ما نفكر في حياتنا نرجع الها . . وهاي مثل ما انت شايف . . ارجع للبلد، واجلس على حجارة بيتنا . .
اكل حالي من الندم ؟ لا
اشتم/اكفر/ ابكي ؟ لا
٣٢ سنة وانا على هالحال . .

وما نسينا..

راح نبقى بوطنا لو منموت. لو بقينا بوطنا مش راح نموت.

مع غروب الشمس وصلت الام ومعها اطفالها الى مجد الكروم . . كانوا ينتظرونها ليعرفوا ماذا يجرى في بيوتهم المهجورة، او ماذا يقول الضابط: سيعودون اليها ام لا ؟
دخلت بينهم وهي تندب والدموع تترقرق من عينيها:
— راحت بلدنا . .
وعلا النحيب والبكاء . . وارتفعت اصوات تنادي: الرحيل . . الرحيل . . الى الاردن . . الى اليرموك . . الى لبنان . . الى كندا . . وارتفعت اصوات اخرى، اقوى واعنف :
— لن نرحل من وطنا . .
راح نبقى بوطنا لو منموت .
واذا بقينا بوطنا مش راح نموت .
كل واحد بيرحل ما بيرجع للبلد الا سائح . .

كانت الكتل البشرية تتحرك على الارض السهلية، عرفنا اننا خسرنا المعركة . . واحسينا انها راحت فلسطين . واخذنا نستعد للمعركة حتى نبقى في وطنا، لاجئين في هذا الوطن ومش لاجئين في ارض الغربة . . كنا نخاف من الغربة اكثر من الموت . . والموت ما كان بعيد عنا . . كل ما لاح جندي اسرائيلي في الافق كنا نشوف الموت في فوهة بارودته . . على حزامه المرشوم بالقنابل . . وفي عينيه اللي بتطلع علينا بحقد وكراهية . . استعدينا للرجوع لبلدنا . . قلنا، اذا كان هون موت وهناك موت . . لانموت على ترابك يا بلدنا . . رويناه بعرقنا وشرف النا نرويه كمان بدمنا . . راح بيجي يوم واولادنا . . . واولاد اولادنا يرجعوا للارض ويعمروا بيوت البلد، ويزرعوا . . ويتذكروا دم اجدادهم . . وهذا شرف النا . . احسن ما نموت في الغربة . . على ارض مش النا . . وعلى تراب ما عمره حملنا . . وما عمرنا زرعناه . "

وما نسينا..

يلبط كالبغل. يضرب عنقه بمؤخرة البندقية: ما معنا سلاح يا خواجه

مجزرة في مجد الكروم . . تختفي آثارها بين قطرات الدم الذي سفك في دير ياسين وعيلبون والبعنة . .
ظهر يوم لم تغرب شمسه قبل أن دخلت مجموعة من الجنود . . وزحفت على الارض السهلية . .
— وصلوا . . جايين من صوب الغرب . .
— ما حدا يتحرك من مكانه . .
على راس الجنود المدججين بالسلاح . . وقف ضابط ، كانوا يعرفونه من قبل ، سمعوا عنه، "ابن حرام ما بيرحم الطفل في بطن امه."
— ارفعوا ايديكم . .
رفعوا اياديهم .
— اركعوا على الارض . .
ركعوا على الارض .
— قفوا . .
وقفوا .
— الى الخلف در . .

داروا الى الخلف .
ـ اركعوا . .
ركعوا .
ـ وبعدين مع ابن هالحرام . .

حاول احدهم أن يرفع راسه . . صرخ في وجهه . . طاطا راسه . . وانحنى . . ادار اخر راسه الى الخلف ، ولم يعرف كيف نزل على عنقه بسطار الجندى الذى وقف الى جانبه شاهرا بندقيته . . فانحنى . . وكان قلبه يرقص في صدره . . كانه يحاول ان يطير . . يطلب النجدة . . يستغيث . . "ضابط ابن حرام ما بيرحم الطفل في بطن امه" . .
ـ سلموا اسلحتكم . .
وهل هذا كل ما يطلبه ضابط وحدة عسكرية يدخل قرية دون ان تطلق اية رصاصة . .
لم يكن معهم سلاح . . اندس الجنود بينهم . .
ـ وين سلاحك ؟
ـ ما معي سلاح يا خواجه .
يهز الجندى راسه . يتمتم . يسال آخر . يتمتم . يلبط كالبغل . يضرب عنقه بموخرة البندقية . يشتم . يواصل عملية التفتيش .
ـ ما معنا سلاح يا خواجه .

وما نسينا..

صرخات الاطفال المذعورين شقت السكون . وحطات الرجال تدوسها الاقدام الحافية

لم تسفر عملية التفتيش عن نتائج ، كان هذا ما اراده الضابط .
ـ لازم كله بيجيب سلاح لهونه .
ـ ما معنا سلاح يا خواجه .
ـ انت . . وانت . . وانت . . وانت ، تعالوا معي . .
اربعة شبان ، احدهم من البروة ، لم يتجاوزوا الثلاثين باعمارهم ، احلى شباب ، تقدموا من الضابط ، باشارة خاطفه امر جنديا ليسوق الشبان الاربعة . . ابتعدوا خمسين مترا . .
ـ ارفع ايديك . . ظهرك للحائط . .

ابتعد بضعة امتار . . صوّب بندقيته . . وضع أصبعه على الزناد . . سمع همسا . . اخرس . . اخرس يا خمار . .
ـ طيخ . . طاخ . . طيخ . . طاخ . .
بعد ثوان كانت أربع جثث ملقية على الارض . . تلقي عليها عيون الفلاحين النظرات الاخيرة . . تودعها . . خائفة ترتجف . . تبللها الدموع المنهمرة من الماقي . . صرخات الاطفال المذعورين شقت السكون الذى فرضته الشمس الغاربة خلف التلال . .
ـ احسن باقول لكم جيبوا سلاح ؟؟
ـ يا خواجه ما معنا . . كل سلاحنا في ايديكم . .
ـ انت . . وانت . . وانت . .
ـ ليّ وفي عداك يا رب . . هذا اللئيم راح يقتلنا واحد واحد . . لا . . يا اما نموت كلنا ، يا اما يطلق سراحنا . .
ـ اقتلنا كلنا يا خواجه . .
ـ كلكم ؟ بسيطه . خلال خمس ثوان . . كلكم وقفوا عند هذى الدار .
واشار باصبعه الى بيت قريب . . هرعوا الى البيت وقفوا ووجوههم صوب الحائط . .
ـ خلفا در . .
امر الضابط .
ـ اسمعوا . . هذا البيت ملغوم . . اهربوا .

هرع الجميع هربا من الموت . . كانت بينهم امراة حامل سقطت على الارض واخرى كانت تحمل رضيعها بين ذراعيها ، كاد يسقط منها كما كانت تسقط حطات الرجال وتدوسها الاقدام الحافية . .
ونسفوا البيت بعد دقائق معدودة .
لم يبق احد في "مجمع" مجد الكروم . . اربع جثث ظلت ملقية تحت اشجار الزيتون . . وبقايا طحين ولبن وزيتون نثرت هنا وهناك . . كانها تذكّر : هنا استراح اطفال البروة . . وهناك في ذلك المرتفع الذى يطل على سهل الموت . . يحتفل اطفال كرميئل ويغنون ويرقصون . . وكان شيخنا المشقق الوجه كتب عليه ان يذرف دموعه . . على الارض التي لا تقدم له سوى الزيت والزعتر . ويقول وهو يهز براسه ويذبل عينيه :
ـ هذا نعمة كريم ؟؟ نعمة كريم ؟؟

اسماء الاماكن والمواقع الفلسطينية

صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر كتاب قسطنطين خمار حول الاماكن والمواقع الطبيعية والبشرية والجغرافية المعروفة في فلسطين حتى العام ١٩٤٨ . وهو عبارة عن ترتيب هجائي للاسماء العربية للمواقع الفلسطينية ، مع ذكر الاسماء التي ابدلتها سلطات الاحتلال باسماء عبرية دخيلة . ووضع المؤلف في نهاية كل سطر الاسم العربي بالحرف اللاتيني وذلك طبقا لما اقرته حلقة الخبراء العرب في اجتماعها في بيروت في آب ١٩٧١ . واورد المؤلف بعد الاسم العبرى ، اذا وجد هوية الموقع حسب الرمز الاصطلاحي . . وتلاه الموقع على الوجه التقريبي ليتمكن الباحث من العثور عليه على الخريطة دون عناء كبير .

■ أراد الجندي الاسترالي أن يصبح أسداً، وأراد الأسد أن يصبح امبراطورية، وأرادت الامبراطورية أن تكون سكينها ذهبية تقطع الكعك الارستقراطي في [illegible].. وتحققت الارادة الفلكية.. معجزة؟ لا، فلكل شيء حساب.

يوم كان الجندي الاسترالي جسوراً عليه الفرس في جيوش بريطانيا طفلاً انجليزياً يدعى بوبي ساندز. ويوم صار الجندي الاسترالي جنداً صناعياً تسلق جبال [illegible] والفرس على القمة كان جندياً يدعى بوبي ساندز.. وغدا الطفل أسداً سوياً يحمل تاجاً ذهبياً يرصّع كل حجر بجوهرة جديدة.. وشاع الأسد [illegible] السفن والجواهر [illegible] الى بلاده. واحضروا له معبداً لبريطانيا وكان عامل المعبد فتى ايرلندياً يدعى بوبي ساندز. ولم يكف الجندي الأسد [illegible] المعبد حتى [illegible] صوماً وخوطاً والفرس عامل المعبد الايرلندي بوبي ساندز.

في هذه الأثناء كان ذلك الرجل الذي حدثتكم عنه ملقياً على جثة الشهيد الفلسطيني التي أسميته بوبي ساندز وكان يهمس بين دموعه:

عينان مفتوحتان
على رحاب الموت
ولا ترفّ الجفون
ولا تجفّ الدمعات

❀

عينان من لازورد
في جثة المجهول
يا أيها المقتول
انهض [illegible] وردة

❀

انهض وراء الجبال
بيت وأمّ وأخت
لبعض الذي إن كنت
ويضم كل الخيال!

❀

أقول ما لا أقول
يا أيها المقتول!

❀



وكان سرب من الطائرات الأميركية منطلقاً من القواعد الإسرائيلية يكنس السماء اللبنانية طيراً على الأشواق الفلسطينية.

■ أمسكها بخطيب وأخذه يعدو، قال: أين المعنى. صمتت. أين المعنى. وانهمرت الأيام والأنهار جريانها القطيع [illegible] أما معناها الزبد فلم تكف عن البوح بأسرارها الجامدة..
لم يعد ذلك الرجل قادراً على النطق.. أما هي فواصلت صمتها: أين المعنى..

■ قال المثل الصيني العتيق: "لا أصعب من البحث عن قطة سوداء في غرفة مظلمة، لا سيما اذا لم تكن هناك قطة"
ذلك الرجل يبحث في غرفته المضاءة عن القطة السوداء التي يدرك أنها غير موجودة ولن توجد على الإطلاق.

■ قال أبو العلاء المعري:

فيا موت زُر إن الحياة ذميمة
ويا نفس جدّي، إن دهرك هازل

■ وقال ذلك الرجل:

إن الحياة ذميمة
أيها الموت، فأمهلني
حتى أجرع كأسي المترعة
بصروف الدهر
وأوزع النفس، جدّها وهزلها!

سميح القاسم

قصة سوفييتية



بقلم : ياكوف سيغل



ترجمها أحمد الخميسي

ــ ماما . . انظري . . هناك رجل اخرج لي لسانه .
ــ لا تعبأي به ، الارجح انه يمازحك
ــ لكن ما هو يخرج لي لسانه مرة اخرى .
ــ دعيه يفعل ما يشاء ، ولا تنظري ناحيته .
ــ أوه . . يا ماما . . انه يتطلع نحوك الان . . وسيخرج لك انت ايضا لسانه .
ــ بس يا بنت . انت كل كلامك اختلاق .
ــ لكنه يتقدم نحونا .
ــ اين هو ؟ مَن من هؤلاء ؟
ــ هذا هو .
ــ أوه . . كوستيا . . تصور المفاجاة . .
ــ مرحبا . . ا . . انا . . اهلا . . اني انظر اليك فاتحير : اهو أنت ؟ ام اخرى تشبهك تماما ؟
ــ فعلا يا كوستيا . مفاجاة مذهلة . كان ثلجا سقط على راسي .
ماما . . من زمن شعرك كان اشقر . والان كستنائي . . مظبوط ؟
ــ وانا ايضا اذكر ان شعرك كان اشقر يا مدام . . آسف قصدي انت كنت شقراء .
ــ نعم . وقتها لم يكن احد يثق في ان ذلك هو اللون الطبيعي لشعري . كانوا يقولون لي : هذه صبغة . . والان وقد صبغت شعري فلا احد يخامره الشك في ان هذا اللون الطبيعي . . كم من الاعوام لم نلتق يا كوستيا ؟ . . كم . . يا كوستيا ؟
ــ منذ اثني عشر عاما أو على الارجح اربعة عشر .
ــ عمي . . وانا قريبا سأتم الست سنوات .
ــ لن تتميها بهذه السرعة . . سوف تبلغين السادسة ، لكن بعد عام كامل . .
ــ طفلتك مستعجلة .
ــ انت كذلك يا كوستيا تستعجل الزمن . فقد مرت تسع سنوات لم نر فيها بعضنا البعض . واذا اردت الدقة ، فقد مضت تسع سنوات وشهران ونحن لا نلتقي . . لكن لم يمر بعد اثنا عشر عاما ولا اربعة عشر لكنك كنت هكذا دائما . . مستعجلا . .
ــ ربما . . محتمل انك على حق . . بالفعل ، تقريبا . . تسع سنوات وشهران . .
ــ بالضبط . فقد حسبتها بالدقة ذات يوم . . . بل بصراحة . . غالبا ما كنت احسب تلك الايام وهي تمر . نعم . . تسعة اعوام وشهرين .
ــ ماما . . متى يصبح عمري تسع سنوات وشهرين ؟ . .
ــ بعد اربع سنوات . وبعد ذلك ستبلغين سني . .
ــ وكم عمرك يا ماما ؟
ــ كثير .
ــ كم . . ؟ . مائة سنة ؟
ــ لم ابلغ المائة بعد . اصغر شوية صغيرة . عمري سبعة وعشرون سنة .
ــ وما رايك يا لينا انني حين اتطلع

اليك الان، يخيل لي أن شيئا لم يتبدل فيك ؟

— هذا "يخيل اليك" فقط. على اية حال شكرا على المجاملة.

— وما اسم طفلتك ؟

— ناستيا. هل تذكر يا كوستيا.. كنت تقول لي حينذاك ان ناستيا هو اجمل اسم في العالم. بل وكنت تتحسر لان اسمي لينا وليس ناستيا.

— احقا ؟

— كثيرا ما رددت ذلك. وحينما انجبت، اسميت طفلتي ناستيا، وما هي تقف امامك بنتا غير مطيعة، تحمل على يدها "عروسة".

— عمي.. هذه العروسة هي ابنتي، اسمها كاتيا، لان كل العرائس على اسم كاتيا..

— افهم من ذلك انك صرت جدة يا لينا؟

— نعم. صرت جدة. وانت يا كوستيا صرت ابا لصبي يا ترى ام لبنت ؟

— لا صبي ولا بنت، بل اني لست متزوجا..الحقيقة كنت..

— كوستيا.. يا له من اسم. كوستيا.. كوستيا..

— ماذا..تكلمي يا لينا..

— لا شيء..ببساطة كنت اقلعت عن هذا الاسم..كوستيا.. اقلعت عنه..

— ماما..عروستي انقطعت رجلها.

— لا تضيعيها.. هاتي اخبئها احسن في حقيبة يدي، حين نصل الى البيت ساصلحها لك.

— لينا..اردت ان اسالك..

— ماذا..اسال..

— هل تذكرين..عندما سافرنا معا .. اظن كنا سافرنا الى مدينة "تساريتسينا"..ام الى "كراتوفا"؟

— تساريتسينا.

— ذاكرتك قوية، في مساء ذلك اليوم وكانت الدنيا قد اعتمت، جرينا معا الى محطة القطار.

— لا زلت تذكر على اية حال يا كوستيا.. ساعتها كنت انت مستعجلا جدا..

— نعم كنت ذاهبا الى البيت.

— وانا وقتها كنت اعيش في بيت الطالبات.

— خشيت ان اتاخر فتقلق امي علي.

— كان في استطاعتك ان تتلفن لها، هكذا فكرت انا ساعتها، لكني لم اقل لك ذلك. خجلت.

— بالفعل كان بامكاني ان اتلفن لها لا ادرى لماذا لم تخطر ببالي هذه الفكرة ؟ ربما كانت هناك اسباب ؟

— ربما، يا كوستيا.. لا ادرى.

— طيب.. الان اريد ان اسالك عن شيء آخر..اتعرفين عن ماذا؟

— اخمن تقريبا..في ذلك المساء حلمت بامنية واحدة وقلت لنفسي: اذا لحقنا بالقطار قبل ان يتحرك من المحطة فسوف تتحقق امنيتي. اما اذا لم نلحق به.. فسوف لا ترى امنيتي النور. وقد ركضنا حينذاك، ركضنا الى درجة ظننت معها ان قلبي سيتقطع بين ضلوعي.

— ولكن.. الم نلحق بالقطار؟

— نعم، لحقنا به.. اما امنيتي فلم تتحقق..

— شيء مؤسف بالطبع. جميل لو ان الامنية تحققت.

— جميل.. تقول هذا وانت لا تدرى اية امنية كانت..

— بالفعل.. ماذا تمنيت حينذاك ؟ هل ما زلت تذكرين؟

— طبعا لا زلت اذكر. لكن هذا لا يعني اى شيء الان..

— مع ذلك.. اود ان اعرف..

— عمي اتعلم..في البيت يوجد عندنا بابا.

— دقائق وسوف نمضي الى بيتنا يا حبيبتي.

— ارجوك ان تتكلمي.. ماذا كانت تلك الامنية ؟

— الان لم يعد ممكنا الكلام عن ذلك يا كوستيا..

— لماذا ؟ لمَ لا ترغبين في الحديث ؟ اتخافين الا افهمك ؟

— ما الذى يمكن ان يخيفني الان يا كوستيا؟ ماذا يمكن ان اخشى.. الان..؟

— اذن قولي لي.

— لا.

— لماذا؟

— لانه لم يمر احد عشر عاما، او اربعة عشر، لكن بالضبط تسع سنوات وشهران. ولاننا حينذاك لن نسافر الى "تساريتسينا" او الى "كراتوفا" انما سافرنا فقط الى "تساريتسينا"، كذلك لانني صرت اما لطفلة. لا داعي للشقاوة يا ناستيا. سنذهب حالا. كذلك يوجد "بابا" الان، وهو ينتظر في البيت.

— اني افهم.. ومع هذا ارجو ان تقولي لي ما تمنيته حينذاك ؟

— "جاكتتك" يا عمي.. "جاكتتك" مقطوع منها "ازرار".

— عارف. شكرا يا كاسيوشا.

— ليس اسمي كاسيوشا.

— آسف غلطة لسان.

— صافحي عمك يا ناستيا..وجهه واضح انه مستعجل..

— اطلاقا..بل وليس هناك مكان اتعجل للذهاب اليه.

— ناستيا.. هيا قولي لعمك مع السلامة.

— مع السلامة يا عمي.

— لكن صدقيني..حقيقة..لست مستعجلا.

— نعم، لكن هناك من ينتظرنا في البيت. مع السلامة يا كوستيا.

— لينا..هل ممكن..هل تسمحين لي ان اتلفن لك ؟ كم رقم تليفونك ؟

— وما الداعي الى ذلك ؟

— فقط ساتلفن.

— ولماذا ؟

— انا نفسي لا اعرف لماذا.. لكن هكذا ببساطة..

— لا .. لا داعي يا كوستيا.

— ماما.. انت نسيت رقم التليفون؟ انا اقدر اقوله..هو ٢٧٢٨٠.. صحيح ؟

عبد الله صخي

الزورق

قصة فلسطينية

أصدرت دار الفارابي اللبنانية مجموعة قصصية بعنوان "حقول دائمة الخضرة" جمعت عشر قصص .. منها هذه القصة ..
وتتميز هذه المجموعة بطابع متميز ففيها يتداخل الواقع والحلم .. الواقع والاصل .. كما انها تتمتع بجمالية وبمضمون اجتماعي وروح انسانية.

ما ان يختفي الفجر ويمتد خيط ذهبي يلامس مئذنة الجامع القريب المهجور، يهبط النور كخيمة فوق سجن المدرسة الاصلاحية، وقتها يتوقف القطار في المحطة المجاورة للسجن، يهرع الصبي راكضا يطوي الاروقة والممرات، يجتاز الساحة الفسيحة حتى يصل السياج المشبك الشائك ويظل يحدق في القطار القادم من بغداد.

منذ عام وهو ينتظر قدوم أهله لزيارته. يرقب باب العربة. حلقات الدخان المتصاعدة من فوهة مقدمة القطار. لحظات وينغلق الباب، يتحرك القطار ولم يهبط احد من الراكبين. هكذا يأتي القطار ويمضي تاركا الصمت يدب في سكة الحديد، في مقبرة الاطفال، في الاشواك والنباتات اليابسة، في اشجار المحطة، وفي مئذنة الجامع القريب المهجور.



عندما قدم في اليوم الاول اشاروا الى الغرفة التي سيسكنها وفي اليوم التالي ادخل ورشة لتعلم النجارة، لم يستطع أن يألف ذلك أول مرة، لكنه اعتاد عليه بعد ايام، وابتدأ يصنع زورقا صغيرا من قطع الاخشاب التالفة أو من لحاء الشجر. يشق ساقيه دقيقة في الارض يملؤها بالماء، يوقف الزورق عند طرف الساقية، ويخيل اليه، ان يربطه بحبل متين الى صخرة جوفاء من صخور المقبرة، يضع قدمه الاولى في الزورق فيشعر انه قادم من عالم غريب مجهول، واذ يضع القدم الثانية يشعر انه بحار.

كثيرا ما كان يحلم حاملا ادواته وقطع من خشب واغصان اشجار، يحفظ كل اشيائه بحقيبة جلدية بنية غامقة، يطوف البلاد كلها، يتجول عند ضفاف الانهار، يلتقي باناس لم يرهم من قبل، تجار، جنود، سفن، بواخر، اصدقائه في مدرسته الاولى التي فقدها منذ عام، يستلقي فوق الساحل يبحث عن المحار والقواقع بين الصخور المتلاحمة مع الموج.



في الليل تتسلسل الاسرة في ساحة السجن، ترقد الاجساد فوقها مغطاة بشراشف بيض، تبدو الاسرة رمادية في الظلام، وتخفق أوراق الشجر المتسلق الذابل فوق الاسيجة المعتمة، كما تاتي من أطراف المقبرة أصوات الحشرات التائهة، وتنهدات الحيوانات الباحثة عن مأوى، عندما يظهر راس الصبي من تحت الشرشف الابيض، يحدق في السماء المديدة مفتشا عن نجمة مشرقة.

ذات ليلة راى النجوم تتساقط كما المطر، تنتشر في ساحة السجن فوق الاسرة، بين الاغصان، وتتدلى من السعف المتعانق، ثم تنزل الى الساحة وتتوهج، بعد ذلك تتحول الى مفاتيح، ينهض، يركض حافيا، يلم النجوم، يعتصرها بفرحة غامرة، تتذوب بين اصابعه وتسيل، عندما يبزغ الفجر، ياتي العاملون، وتبدأ حركة واسعة.

في الايام القليلة الماضية شعر الصبي انه حزين ومنعزل ووحيد، وانه لا يطيق حياة كهذه، وفكر بالهرب، غير انه تردد حائرا، كذلك خيل اليه أن هناك تلميذة ذات ضفائر طويلة تصل الى طرف تنورتها الداكنة، تحمل كتبا تقف خلف السياج كل صباح، كانت تضع على راسها شرائط خضر. بدت له التلميذة وكأنها تود الحديث معه، لكنها بعيدة عنه، يفصل بينهما السياج، من اين يمكن لها ان تدخل السجن؟

"في الايام التي كنت ارى فيها التلميذة خلف السياج ابتدأت بنحت حصان من خشب، انشغلت به من الصباح حتى المساء، وكثيرا ما كنت انسى وجود التلميذة خلف السياج. هل كانت تقف خلف السياج؟
في اليوم السابع اكملت نحت الحصان فوضعته على الارض، هبت الريح، لامست حافره، وانطلق يعدو في الساحة، تخيلته يدور ويصهل ويحمحم، اوقفته واعتليت ظهره ومشى خببا، اتجهت ناحية التلميذة رفعت يدها، لوحت، وصاحت:
- اجلب معك حقيبتك.



ولم انتبه، اقتربت من السياج كانت ابواب السجن مغلقة باحكام، كيف امر دون ان يعترضني احد، كلهم يجبرونني على البقاء، التلميذة فقط تريد ان تنقذني وتوصلني الى البيت، الى اهلي، اين اهلي؟ لماذا لا يجيئون لزيارتي؟ ربما نسوا ان لهم ابنا.

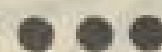
وحدث مرة ان جلبت لي اقلاما ملونة ودفترا للرسم، رسمت صورة امي واريتها اياها، وقالت بفرح:
ـ اذا عدت الى المدرسة ستكون اعظم رسّام. ولا ادرى كيف ايقنت لحظتها ان امي لم تزل في البيت، وستأتي يوما وتاخذني الى المدرسة.

بيني وبين السياج ويد التلميذة خطوة واحدة، جفل الحصان، وصهل، ركل السياج وامتدت ساقه لتعين التلميذة على الركوب، حمحم وغضب، ماذا حدث لك؟ قل لي، هل اصابك مسمار؟ كانت امي تحدثني عن عصفور اصابته شوكة وذهب الى صديقه ليخرجها له، لقد نسيت الكاية لا اتذكر كيف اكملتها امي. التلميذة لم تتمكن من ان تقترب صرخت بأعلى صوتي، فاجابت اروقة السجن مرددة معي، سال العرق من جبين الحصان، وامتلأ فمه بالزبد، ولم يستطع ان يحرك ساقه فسقط ممددا، افقت فرأيت التلميذة لم تزل تنتظر خلف السياج.»

ومضت ايام لم ير فيها التلميذة واقفة خلف السياج، وراح يفكر بالهروب من جديد وقال لنفسه هامسا:

«ماذا افعل؟ لقد تحطم

زورقي، ومات الحصان، وغابت التلميذة، لماذا لا تاتي؟ اسأل من عنها؟ ماذا اصنع. طائرة؟ كلا. اني اكره الطائرات. قطار!؟ لكن اهلي لم يأتوا لزيارتي بالقطار، ترى هل تذكروني، تساورني رغبة كبيرة ان اقطع كفي بمنشار الخشب هكذا وانا اشطر اللوحة الى نصفين، امرر المنشار على كفي واغمض عيني ثم افتحها لارى كفي مقطوعة، عندها سيراني مدير السجن ويقترح اطلاق سراحي لانني لن اكون صالحا للبقاء."



يوما كان الصبي جالسا على الارض مسندا ظهره الى الجدار، ومواجها الساحة، تحيطه زوارق من خشب وخيول بعضها بنصف أرجل أو بلا عيون، واخرى مقطوعة الرؤوس مدماة سوى حصان واحد يقف منفردا خاملا محني الراس، تناثرت قربه ادوات النجارة، كانت الشمس تبتعد وتختفي خلف التلال، وتتكثف العتمة شيئا فشيئا بين المنشار والتراب.

"ما ان تختفي الشمس حتى احس كأني في قفص اصغر من جسمي، وارى امي كأنها تخرج من صخرة كبيرة في المقبرة، امي تقترب، عباءتها تطير حولها كالبساط، فوطتها تنهدم وتسقط، امي تجتاز التل، والفوطة بقعة سوداء تذوب في الليل، امد جسمي داخل القفص وهو يصغر كلما اتمدد، اضغط على القضبان فتخور اصابعي، لحظتها ترتطم امي بالسياج، وترتد، تعود الى ماواها، الى الصخرة، وتغيب."

جمع أدواته، حدق في المنشار، مشى في الساحة ساهما، اقترب من جذع نخلة مهمل، وضع كفه على الجذع كدجاجة، كان صغيرا ناعما، مهمهم مع نفسه، تمسك بقبضة المنشار بقوة وارتجف:

"اذن، سيطلق سراحي مدير السجن، أخرج، أدور في الساحات، أعود الى مدرستي، وامي، اين هي؟ في الصخرة؟ لكني سأرى التلميذة وسط زحام، ستقودني من يدي، تحمل كتبي، وتعلمني الرسم، وتقص لي الحكايات، اين هي؟ انا لا اخاف من شيء، ولا ارتجف، انني اريد ان اخرج، ماذا فعلت كي اقضي حياتي هنا، كنت واقفا في دكان ابي وقت غيابه كان يذهب كل ظهيرة الى البيت، ياكل وينام، وقد لا يعود عندما يكون سكرانا، ذلك النهار جاء رجل مجنون، تعرفه المنطقة كلها، كل الاولاد يضربونه بقشور الرقي الا انا، كنت اخافه، جاءني وسرق رقية عنوة، وسكت، ثم عاد وضربني وتوالت بعدها الضربات، فحملت سكين ابي ودافعت عن نفسي، وجاءت احدى الضربات في الخاصرة، فسقط دون حراك، لم اكن اصدق ان ذلك يحدث، بعدها وجدت نفس هنا.

هل انا مجرم؟ سيراني مدير السجن مقطوع الكف وسيطلق سراحي، لقد ضجر مني، وضجرت منه، كم كرهته، كرهت الماء الذي أشربه هنا، كل شيء مضجر وكريه، لا. لا. لا تفعل ذلك، ارم المنشار من يدك. ربما لا يطلقون سراحك، لا. سيطلقون سراحي، أنت لا تعرف القوانين، انا اعرف كل شيء، ها هو المنشار أمامي يقترب، يتحداني، لكنه يخش كفي، ان كفي تتقدم والمنشار يلامسها، حركت المنشار، ارفع راسي الى الاعلى، ارى سعف النخلة ترتجف، يشتد هبوب الريح، اسمع اصواتا غريبة تاتي من المقبرة، ربما امي تبكي والتلميذة؟ اين هي؟ اني ابكي، ياتيني صوت القطار قادما من بعيد، ها هو يقترب ويتوقف في المحطة، ربما ينزل احد، يدوي القطار مرة أخرى، وينسل فوق السكة متلاشيا بين التلال، تهدأ الاصوات ويحيطني سكون شامل اخطو ببطء وكأني اطأ الارض للمرة الاولى، ارمي المنشار من يدي، وأعود الى الورشة.."

وكالايام البعيدة الماضية، كعجلة القطار الذي يمر كل يوم، يبقى الصبي حيا مع النجوم والزوارق والخيول والصخرة السوداء والتلميذة خلف السياج، ويهرع راكضا عندما يسمع صوت القطار قادما في الصباح.

لجنة لنشر الادب الفلسطيني باللغات الاجنبية

اقرت الامانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، تشكيل لجنة للنشر، مسؤولة عن اختيار النصوص من الادب الفلسطيني وترشيحها للترجمة الى اللغات الاجنبية، على ضوء اتفاقات الاتحاد مع الاتحادات الصديقة.

اللجنة برئاسة الشاعر معين بسيسو، وتضم في عضويتها الدكتور احسان عباس، جبرا ابراهيم جبرا محمود درويش، رشاد ابو شاور، نزيه ابو نضال وعلي حسين خلف.

سحابة

اقصوصة

بقلم: مفيد دويكات
الضفة الغربية المحتلة

كان الوقت عصرا.

وحينما جاءوا لم يكن في الدار احد سواها. اما كناتها فقد صادف ان ذهبن الى مآرب شتى. واحدة في المدينة اخذت ابنها المريض الى الطبيب. الثانية، ذهبت لزيارة امها في الحارة الشرقية. والثالثة "حردانة" منذ اربعة ايام في دار ابيها. والتفكير السائد في الدار بردها.. ان لم يكن اليوم... غدا.

اما الصغار فهم كعادتهم يلعبون مع ابناء الحارة فوق البيادر. كانت تفكر بما يجب طبخه للعشاء.

سمعت اللغط خلف الدار... امامها.. من حولها. شمت رائحة بنزين. لغط غريب...

خرجت. اصطدمت بهم عند الباب.

كانوا ستة جنود مدججين بالسلاح. تقدم منها واحد اشقر.. ويتحدث اللغة العربية بطلاقة.

ــ انت صاحبة الدار ؟

ــ انا صاحبة الدار. ماذا تريدون ؟

ــ اين زوجك ؟

ــ قتلتموه في الحرب الاخيرة.

لم يعجبه الجواب. ترجم للاخرين قولها.. هزوا رؤوسهم.

ــ اين اولادك ؟

ــ في اشغالهم.. ماذا تريدون ؟

ــ انت متاكدة ؟

ــ متاكدة.

احدهم كان في غاية الحنق والاستعجال. تحدث الى الاشقر بكلمات غير مفهومة.

ــ ابراهيم.. اين ابراهيم ؟

ــ ذهب الى عمان ؟

ــ اذن.. ليس في شغله..

ــ في شغله.. ذهب لزيارة دار عمه... وهذا شغل.

ــ لماذا ذهب الى عمان ؟

ــ قلت لك ذهب لزيارة دار عمه.. ماذا تريد ؟

ــ اهذه دار ابراهيم ؟

ــ داره. مالها ؟

ــ وانت امه ؟

ــ امه.. ماذا تريد ؟

ــ في عمان هو ؟

ــ في عمان.

ــ أكيد في عمان.

ــ ذهب لزيارة دار عمه.

ــ الدار باسمه ؟

ــ لا.

ــ اليست له ؟

ــ له.. ولا خوته. مالها؟

تبادلوا الكلام الغريب فيما بينهم.

ــ تعالي.

ــ الى أين ؟

ــ بدون جدال. تعالي معي.

لم تكن خائفة على نفسها.

ــ الدار.. لا احد في الدار.. لا استطيع تركها.

ــ لا تخافي.. هي في حراستنا.

ــ حراستكم ؟

ــ حراستنا.. لا تخافي.

ترددت...

الح عليها.. احدهم كان يلعب باقسام بندقية.

مشت.

بعيدا عن الدار اوقفوها.. كانت واقفة وسط مجموعة من الفوهات اللعينة والقنابل...

لم تستطع رفع عينيها عن الدار..

عدد الغرف الارضية ست غرف. شغلت جميعا. عفش قديم. تبن، قمح، شعير، ثلاث بقرات، حمار. فوق.. اربع غرف.. مساكن الجميع. غرفة ابراهيم.

ومنافع مشتركة.. ودرج مشترك.. بئر ماء مشتركة.. وحبل غسيل مشترك لن ترفع عينيها عن الدار.

حاولت الاستفسار من واحد.. خمنت انه ابن حلال..

جوبهت برطن غريب.

توجهت لآخر.. جابهها بفوهة بندقية.

لا امل في العثور على اجابة منهم.. وقع الانفجار الرهيب.. قبل أن تصل الى استنتاج معقول.

اهتزت الارض.. تعب العمر سحابة دخان سوداء قاتمة متطايرة في السماء.

احسّت...

لم يمنعها انفعالهم واستنفارهم من الصراخ في وجوههم. لكنهم مرّة اخرى لم يبالوا.. ركبوا السيارات... بينما توقف الناس على الطرقات مولولين...

ماذا تقول لهم؟ لقد اكثروا من السؤال عن ابراهيم..

ماذا فعلت بهم يا ابراهيم...؟

السحابة السوداء غدت خيمة هائلة لفت البلد في الظلال...

سوف يقول الرجال لابنائهم في المستقبل.. ما أقواها.. حدث ما حدث.. جئنا اليها.. كانت واقفة مثل زيتونة شامخة.. تنظر الى الحطام.. دون أن تدمع لها عين...

شجرة الياسمين

قصة من البحرين

عبدالله علي خليفة

—١—

جاءتني الضحكة وأنا أستعد الدخول في مملكة الظلام الدامس. جاءت وهي ترتعش بحزن الماضي وروعة المجهول الاتي ، جاءت وقد بدت آلامي تهدأ وأخذ النعاس يقودني نحو حديقته المزهرة بالدفء والراحة والاحلام .

سبق أن تتبعت هذه الضحكة خطواتي في عالم مترامي الاطراف . زارتني في الحزن والسجن ، في اليأس والمقبرة ، في الكأس والرسم . ولكنها اختفت في هذا الشتاء لتعاود الظهور هذه الليلة. انها المرة الثانية التي تجيء فيها . انها تنفجر في الظلام ، فكأن طفلا يتسلق شجرة وهو يضحك ضحكة صاخبة أو كأنها صبية تضحك ليلة عرسها . انها قوية مفعمة بالحرارة ودفء القلب ، صادرة عن الاعماق التي تزهر فيها البراءة.

لو انني القيت بهذا الدثار الثقيل ، ولملمت أطرافي لارى وجهها الطفولي لما وجدت شيئا . انها تأبى أن تراني ، ستختفي في مكان لا يطاله أحد ، وسترمقني بحب وألم .

وكأنه ينتظر الاشارة ، يلبس النوم معطفه ، ويلقي علي نظرة عجلة ، ثم يغادر المنزل وهو يصفر ويدندن ، متجها الى عيون ليست كالجمر ، وقلوب ليست كالنار .

انني أسمع خطواتها ، متجهة الى شجرتها الذابلة .ورغم الظلام ستراها ، وستلمس أغصانها الجافة ثم تتأوه بحرقة . وها أنذا أسمعها وهي تقص على شجرة الياسمين حكاية الرجل العجوز . ان الشجرة تنصت اليها وقلبها الواهن لا يكاد ينبض . ان عروقها يابسة ، ويديها كلها عظام . ستقص عليها كيف انها لم تزر المنزل في هذا الشتاء ،وكيف ان الرجل العجوز منعها من الدخول . ولكنها استطاعت أن تتسلل أخيرا ، ولسوف تسقي الزرع جيدا .

ولسوف تجعل الازهار تتنشق أخيرا كالانوار والاحلام ، ستبتسم الشجرة ، وسترمق وجه الفتاة المتلألىء كسنابل القمح ثم تمد أيديها الى السحاب الكثيف المجتمع فوقها وتعصره فوق المنزل ،فوق الارض . عندئذ ستشرب بقدر سنوات القحط والموت والعطش . .وستنمو الاذرع ويتورد الوجه وتنبثق الزهرات كالنجمات والشهب والامال . .

وتنفجر الضحكة مرة ثالثة كرشرشة المطر فوق حقل فتي .ان هذا الصوت لكأنه تتدفق عروقه بالدماء ، وليست بذكرى أو وهم ، يجب أن أنهض ، يجب أن أرى . وأقوم متثاقلا . أشعر بصدري يتقطع ، ينتابني سعال عنيف ، لكنني ألقي



الدثار جانبا واتجه نحو الباب، أفتحه فيغمرني الظلام والهدوء. لا احد يتنفس. لا احد يضحك، لا أسمع حتى رفرفة خفاش أو زقزقة عصفور ضائع. صمت عميق كأنني أفتح قبرا. اشعل النور فيستعيد المكان وجهه المفقود، وأرى شجرة الياسمين العجوز وقد مدت أيديها الى كل اجزاء المنزل فكأن عروقها الضامرة تحضنه وتقبله قبلة أخيرة.

— ٢ —

كنت قد دفنت كتبي ودفاتري والقيت فوقها شيئا من الحشائش والسعف وعزمت على قضاء يومي المدرسي في البستان المجاور للمدرسة. أتصيّد الطيور وأقطف اللوز، حتى اذا سمعت جرس نهاية الحصة السادسة أسرعت مع العائدين من التلاميذ الى البيت. ولم تكن اللعبة بجديدة علي فقد مرت أيام كثيرة والبستان أو البحر أو المقبرة تشهد حضوري المستمر كأني جني صغير متمرد.

ولكن في ذلك اليوم الربيعي ما كدت أخطو خطوتين قرب سور البستان حتى شعرت بقبضة قاسية تشدني من كتفي. التفت مذعورا فوجدتها أمامي كالهرة الشرسة وقد اختطف صغارها. صاحت في وجهي: أهذا ما تفعله كل يوم. وعلى الفور قمت بعض يدها بقوة مذهلة حتى أحسست بالدم حارا يفور في فمي. تركتني فأسرعت بدخول البستان ولكن كل شيء كان في طريقه الى التحول. كانت ثمة آلات وسيارات شحن وعمال كثيرون. كانت الاشجار تقطع، والبركة تهدم، والاعشاش تسقط، والطيور تقتل. ووجدت كل الدروب مقفلة وأنه لا مفر من العودة. وقبل أن أخطو خطوة أخرى انهال علي الضرب موجعا حتى انهارت قواي. صحت وبكيت لكنها كانت تقودني الى المدرسة باصرار.

وفي لحظة جنون أمسكت عباءتها ومزقتها. طالعتني بكره ضار وصاحت: ولكني لن أتركك. وجرتني بين التلاميذ، وفي ساحة المدرسة، ثم ألقتني عند غرفة المدير، والتم عليّ التلاميذ والمدرسون وراحوا يتأملون ثيابي الممزقة، ووجهي المنتفخ ودموعي المنهمرة.. ويبتسمون.

وفي المساء، اقتربت من سريرها وكمنت لها في الظلام، وكلما أردت أن تنام رفستها بقدمي. لم تهتم بي وواصلت رقدتها وهي تشخر وتصفر. وفجأة نهضت وصفعتها بقوة وأردت أن أقذف بنفسي من الغرفة لكنها أمسكتني وضمتني الى صدرها، وعندما رأيت وجهها المبتسم يدعوني للدخول في بستان لا يهدم أبدا دخلت وأنا أرتعش بالبكاء والفرح.

— ٣ —

رأيت وجهها وراء زجاج النافذة. وجه لم يتغير كثيرا عن أيام الطفولة الغارقة في بئر عميقة. انها تبتسم ابتسامتها الرائعة وتدعوني اليها. لكنني مقيد في هذا السرير الخشبي وفوقي لوحاتي تمنعني من النهوض. انها صور لوجوه محترقة ومدن ضامئة وآبار مسمومة. انها صور لجماجم متناثرة بشعة. انني أرتجف هلعا، وأحاول القيام لكن سلاسل غير مرئية تشدني الى السرير.

وتقول أختي: هيا تعال، أخرج، جاء الربيع وأنت مقيّد بهذه السلاسل.

أقول لها: سأنهض حالا، لن يفوتني منظر الازهار والفراشات والاطفال يلعبون في الجداول.

أحاول النهوض لكنني لا أستطيع ان لوحة فيها صورة شجرة الياسمين وفتاة تضحك تمنعني من القيام. انني لا أستطيع أن أمزقها، لانها تدخل جسدي، وكلما حاولت تمزيقها وجدت اني أعصر أصابعي.

وسمعتها تضحك ثم تغني أغنية للقمر. قالت للقمر انها غادرت العالم صبية صغيرة. لم يقبلها شاب ولم يسمعها أحد كلمات جميلة، فهل يقبل هو أن يتزوجها؟ ضحك القمر ثم قال انه على موعد مع امرأة عند الشاطىء. توقف غناءها فجأة، سمعتها تبكي ثم تصرخ: الرجل العجوز..

رحل القمر وحل الظلام والبكاء، وأنا مقيد في هذا السرير الخشبي وفوقي لوحاتي ورسومها الكئيبة تنشرني بمنشار صدىء له صوت كالنعي. أحاول النهوض فلا أستطيع. ويتمزق سمعي حين يصلني بكاءها ممزوجا بضحكات الرجل العجوز.

— ٤ —

أنتبه الى النافذة تنفتح وتصدم الجدار بقوة. لقد أيقظني هذا الصوت من غفوتي وحلمي. من نومي الرائع وحلمي البغيض. لكني رأيت وجهها.. انها لم تزل تحتفظ بضحكاتها في جوف عالم دامس الظلمات. تعالي الي ايتها الصبية الضائعة في البرية. تعالي الي يا ضياء الياسمين وحزن السنين. لن المسك، لن أضربك، بل سوف أرسمك. سوف أرسمك بهذه الفرشاة التي اشتريتها لي. هذه الفرشاة التي كسرتها أمامك والصقتها بعد رحيلك. فأنا فنان أرسم بفرشاة مكسورة، فنان أتنفس برئة منخورة. لو انك فقط تحضرين هنا لرسمت لوحة الحلم. لرسمتك تغمرين السماء الزرقاء بأزهار الياسمين وأنت تلونين العالم بالضياء، وتدعين المحبين للعشق. فلم تهربين مني؟ ولم تفرين عني أيتها الفتاة المهجورة المهاجرة؟

.. وانتبه الى دخول الرجل العجوز غرفتي بلا استئذان وبكل وقاحة. انه صارم الملامح، غير مستعد لاية هدنة مع الفرح. عيناه باردتان كقطعتي نقد وشفتاه يابستان مطبقتان كحجر صلد. انه يرصد



الغرفة بنظرته. يقف قليلا عند ساعة الحائط القديمة التي تركها أبي بعد وفاته. انها صدئة، ولا ترن الرنين المعتاد، غير انها ماضية في ضبط الوقت بلا توقف. ثم يحدق مليا في اللوحة البيضاء الفارغة التي تقابل السرير والفرشاة العتيقة التي تنتظر قربها، والاصباغ المبعثرة كرجال اقوياء عاطلين عن العمل.

انه يجلس بكل برود منتظرا مني مجموعة كاملة من الشتائم غير اني لا آبه به. وكالعادة يفتح مغارته السوداء ويتكلم:

ـ لا تزال اللوحة فارغة وهذا شيء يؤسف له. ان الاصابع كي ترسم لا بد لها من دماء، وأنت نزفت كل دمك. فهذا وجهك أصفر، وعروقك بارزة مسودة، لم يبق فيك سوى العظام وهذه اللحية الكثة.. كيف يمكنك أن ترسم وأنت مجرد هيكل عظمي؟ هيا غيّر طريقة حياتك أنا مستعد لاعطائك كمية كبيرة من المال حتى تصبح رجلا ذا روح.

اتجه الى اللوحة وتناول الفرشاة، سأقضي هذه الليلة في رسم الحلم. لن أصغي الى ثرثرة هذا الرجل وشكوكه التي يزرعها في كل مكان، هنا، في هذه النقطة السفلى من اللوحة أبدأ برسم الجذور، جذور شجرة الياسمين.

يطالعني ويمضي في حديثه، أنظر الى نفسك، انك تتجه الى الشيخوخة وحتى الان لم تتزوج. أنت وحيد.. وحيد. فراشك بارد ولقمتك بلا طعم، ولذلك في مضاجعة الاحلام والاشباح. قل لي ما الذى أفادتك هذه اللوحات الصارخة بالالم، الغاضبة، السوداء، المتوحشة..؟؟ تعال الي، سأعطيك النساء والاموال. سأوظفك في شركة دعاية ما، أو اجعلك مسؤولا عن المسرح والمهرجين.. تعال الي ودع جذور الاشجار والضحكات الغامضة..

استطعت ان أرسم الجذور وقد تخللت التربة تخللا عميقا. لقد احتضنتها الارض فاندعمتا معا، نظر الي العجوز بحقد، ونهض وهو غاضب وصاح في وجهي:

ـ لن تستمر في هذا المنزل طويلا، أنت لم تدفع الايجارات منذ عدة شهور، وقد قررت المحكمة طردك منه. هيا اجمع حاجياتك ولملم أغراضك وغادر المنزل حالا.

نظرت اليه بتحد وقلت: لن أغادر بيتي أبدا..

ـ ستغادره رغما عنك. لقد قررت المحكمة طردك منه. سوف يتغير هذا المنزل تماما. سوف أكنس هذه الارض من بقاياكم ومن عواطفكم.. ستظهر عمارة كبيرة، سيسكنها اناس في منتهى النظافة والادب. لن تستمر هنا طويلا يا عزيزي، فغدا سألقي بلوحاتك في عرض الطريق، وسأعطيك ساعة أبيك وقد توقفت عن متابعة الزمن تماما.. أما أغصان شجرة الياسمين الذابلة وجذورها الميتة فأعتقد أنك لن تحتاج اليها...

ـ لن أغادر بيتي أبدا..

ـ غدا ستأتي الالات والسيارات والعمال ويزيلونه في لمح البصر، أما اذا بقيت فيه فان احدا لن يفرق بينك وبين اية حجارة منه.. وفي غمضة عين ستظهر العمارة الرائعة. سيسكنها اناس أغراب وسأفتح فيها خمارة صغيرة تسقي العطاشى والمتعبين..؟؟

رمقت السماء لحظة فوجدتها سوداء لا ضوء يشع فيها ولا بريق ينبعث منها كأنها رجل التحف بأغطية سوداء كثيرة ومات. أنصت الى المنزل الهادىء عل الضحكة تعود مرة أخرى أو علني أسمع الخطوات الرائعة تنبىء عن وجودها لكن الصمت كان يقيد كل شيء ويربط كل فعل.. الا هذا العجوز الذى أخذ يسير في انحاء الغرفة وكأنه وضع يده أخيرا على المنزل وقبض روح الاسرة.

ـ استسلم يا عزيزى بهدوء فأنت وحيد بلا معين في هذا العالم الواسع. كل الناس الذين ترسم لهم لوحاتك غارقون في سباتهم أو منشغلون بتفاهاتهم.. هيا استسلم واحرق هذه اللوحات فلسوف تكسب كل ملذات الدنيا..

وأمضي في الرسم. أدخل جوف الحلم وأطبع في ذاكرتي رؤاه الغامرة بالنور. وأنتبه ثانية واذا بالرجل العجوز قد اختفى.. أنهض وأفتح الباب وأطالع الممر فاذا هو خال هادئ واذا بالباب الخارجي محكم الاقفال واذا بالصمت يلف كل شيء ويغمر كل فعل. ووحدها كانت هناك الشجرة العجوز تحترق في كأم تنتظرني منذ أعوام وأعوام..

— ٥ —

دخلنا البيت الكبير ورأيناه على باب احدى الحجرات ينتظرنا وهو مقطب الوجه. يتطلع الى الطيور وهي تتقافز في أقفاصها مذعورة. وقفنا في الحوش، وجاء خادم أسود البشرة وراح يحدق في الطيور ويهدأها قائلا "لا تخافي. لا تخافي". أشار الرجل العجوز على أبي ثم دخل حجرته. تبعه أبي وهو يقود أختي الى الداخل. كانت ترتجف خوفا وبردا، وعينيها زائغتين، ووجهها أصفر وذبل. وما لبثا أن اختفيا في الحجرة التفت نحو الخادم فرأيته قد أخرج سكينا ومضى يردد "لا تخافي أيتها الطيور، لا تخافي أبدا"، كان يبتسم ويكشر عن أسنانه، ويهز السكين كقط جائع. فتح باب القفص وأدخل يده فراحت الطيور تهدل وتبكي بذعر. كانت تبتعد عن يده فمضى يصرخ غاضبا "أين ستفرين مني؟ سأقتلك" وأخيرا وضع يده على ما كان يبتغي، وأخرجها فاذا هي حمامة بيضاء. ضحك بسرور بالغ وامتدت سكينه الى عنقها. وفي ثانية واحدة قطعه لكن الحمامة المذبوحة قفزت من يده فاذا هي تحت قدمي أختي التي كانت خارجة في تلك اللحظة، ذعرت وذعرت وانتابني خوف غريب، لان الدماء لونتها ولان الرجل العجوز كان فوق العتبة يبتسم ابتسامة كأنها الموت؟؟

- ٦ -

قالت لي : تعال ازرع هـذا الغصن هناك .

تطلعت الى وجهها الذابـل وعينيها الغارقتين في الظلام وتعجبت من أين أحضرت هذا الغصن ولماذا تريد أن أزرعه وهو جاف يابس كعصا .

قلت لها : سأذهب الى الملعب عندنا مباراة اليوم .

قالت : لن يستغرق ذلك منك وقتا .

قلت : بل سوف يستغرق . سوف ألبس ملابس الرياضية الان . تركتها ورحت ألبس حذائي . رأيتها تتحامل على نفسها ، تنزل من على الفراش ببطء شديد ، ثم تتجه الى الحوش وهي ترتجف سعالا وبردا . وقبل أن تبلغ المكان تعثرت وسقطت . سمعتها تئن . قذفت الحذاء جانبا وركضت اليها . ساعدتها على النهوض فقامت وسارت حتى وصلت الجدار الشرقي لمنزلنا . وهناك زرعت الغصن . ابتسمت وسالت دموعها . وراحت تدندن بأغنية لكن الاغنية كانت متقطعة ، خافتة ، واهنة . أما أنا فقد لبست حذائي وأخذت الكرة وقفزت الى الخارج .

- ٧ -

جرني أبي الى الباب ثـم أعطاني قطعة نقد وهو يقول :

ـ اذهب والعب بعيدا . .

خرجت فأقفل الباب . كـان الرجل العجوز بالداخل . وكان يقرأ كلمات غريبة من كتاب عتيق في يده . نظرت من ثقب الباب فرأيت أختي تتمدد على الفراش والرجل العجوز واقف فوقها وهو يطلق بعض البخور ويفحص جسمها وعيناه تنفثان الشرر وما لبث أن ترك المبخرة وأخذ سيخا مبيض الرأس . رأيت أبي يركع معه . رأيت العجوز ينحني أيضا . لكن ما هذا الذى أسمع ؟ ما هذا الذى أرى ؟ انها تصرخ . تصرخ . تصرخ . انهمـا يقتلانها . انها تصرخ . انني لا أستطيع الوقوف هنا . انني لا أستطيع المكوث هنا . انني أركض وأركض وأركض بعيدا .

سرت وسرت حتى شعرت بالتعب يثقب صدري ويشل قدمي . سـقطت على الارض وتشبثت بالتراب . وعندما رفعت رأسي رأيت البستان القديـم أمامي . لم أسمع عصفورا يغرد أو جدول ماء يغني . رأيت أبنية بشعة تتمـدد فوقي كالوحش . تحول البستان الـى بلاعة فاضت مياهها وانتشرت قذاراتها في كل مكان . سمعت بكاء الاطفـال وعـويل النسـاء وضحكات السكارى والشتائم الحادة والكلمات الغريبة .

وتصاعد البكاء العنيف ورأيت جنازة تتقدم نحوى . انهم رجـال مسرعون يحملون نعشا صغيرا يكاد يطير فوق أكتافهم . انهم يتقدمـون نحوى ويدمدمون كأنهم يتوعدون عـدوا لا يرحـم . انهم يقتربون ولا يرونني ، وأنا لا أقدر على النهوض . تمزق صدرى وخارت قوتي . يقتربون . يقتربون . علي أن أنهض . علي أن أقفز . يتقدمون . . يتقدمون . . عشرات الارجل والاحذية والنعل . . حصى يتناثر وأصوات تخض الارض . وحملت ثقلي وروحي وقفزت . . ولم ينتبهـوا لشيء . ظلوا يتقدمون ويدمدمون . .

وحين حل الظلام عدت الى حينا . ان قلبي يرتجف كالحمامـة المذبوحة . ان قلبي ينتفض وأنـا أقترب من البيت . ان صورا مفزعـة تشدني من عيني وشعري . ان أسياخا من الحديد المحمي تلهب جلدى ولحمي . وها أنذا أصل الى البيت . وها أنذا أسمع البكاء والعويل . وها أنذا أسمع الصياح في كل مكـان . الباب مفتوح على مصراعيه . والناس تبكي في الداخل . وجوه مألوفة ووجوه غريبة . أصوات تفقأ عيني وتثقـب أذني وتفتت قلبي . بكاء . بكاء . بكاء . وهي كانت هناك . . تحت شجرة الياسمين غطيت برداء أبيـض ، وأغصان الشجرة تدلت عليها وراحت تقبلها بحب لا يضاهي . وأنا لا أعرف ما العمل . أبكي وأصرخ وأريد أن أمزق شيئا ما . أريد أن أقتل أحدا . وأنتبه لنفسي واذا بي رجل كبير ذو لحية كثة ولوحة ناقصة . واذا بشـجرة الياسمين رجل عجوز يتمدد في كل جسد المنزل كالعروق . واذا بالسماء من فوقي كالشيطان جالس بعباءتـه السوداء والصمت يغمر كل شيء فلا بكاء أو عويل ولا اناس ولا أكفان ولا أزهار . .

- ٨ -

قررت أن أقتل الرجل العجوز وأنهي هذا العذاب الذى يطاردني كالارواح الشريرة . وأريح نفسي من هذه الاشواك الغائصة في صدري والتي كلما حاولت اخراجها تدفقت الدماء غزيرة من روحي .

لبست ثيابي ، وألقيت نظـرة أخيرة على لوحتي الناقصة . رأيـت الجذور عميقة في الارض . والسـاق تتحسس طريقها في السماء والبراعم تنتشر في كل مكان ملتحمة بالزرقـة وضوء الشمس . لكن الوجه لم يظهـر بعد ، والابتسامة لم تشرق بعد . دخلت المطبخ وتناولت سـكينا جديـدة وخبأتها في جيبي . وخرجت .

كان الظلام يقودني الى البيت الكبير ، وكان الغضب يطلق فيّ تحديا لا ينضب . كانت السماء سوداء ككهف كظلم وليس ثمة نجمة ترسل ولا شهاب يطلق ضحكة . وكانت خطواتي ترتعش على الطريق وصدرى يطقطق كتنكة تتقاذفها الريح على الارض مبلطة .

وأخيرا لاح لي المنزل فرأيت الاسوار تحيطه والاضـواء تحرسـه . وترددت هناك ، وقفت حائرا وبدى تتحسس السكين الباردة كأني فزاعة طيور . رأيت السور مرتفعا كأنه يصل الى الغيم . والاضواء تتسلط علي كأنها رياح ساخنة . ابتعدت عن الســور وجلست في الظلام . ودهشت حـين رأيت جماعة من الرجال جالسة هناك تحدق في كأني صديق تاه عنها . رحبوا بي ، وشدوا على يدى بحرارة قلت قلت لهم حكايتي فتدفق الصمت بينهم والتمعت عيونهم بالضياء ، حدثوني بحكايات مدهشة عن بحارة قتلهم العجوز فوق ظهور السفن . وعن

البقية على صفحة ٥٥

تشي غيفارا قائدا وصديقا

نيكولاس غويلين

* مولود في كاماغاي — كوبا — العام ١٩٠٢ . تقلب في مهن عديدة : كعامل مطبعة وموظف ودبلوماسي . انتخب رئيسا لاتحاد الكتاب الكوبيين العام ١٩٦١ . والشاعر كوبا الكبير الكثر من عشرة دواوين ، هو حاليا عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكوبي .

ليس لانك سقطت
صرت اقل تألقا .
حصان من نار يحمل
تمثالك المغاور ،
وسط رياح « السييرا » والغيوم .
وليس لانك لم تعد تتكلم ،
صرت صمتا .
وليس لانهم احرقوك .
لانهم طمروك تحت التراب .
ودفنوك
في المقابر والغابات والجرود :
سيحولون دون أن نلتقي ؛
تشي، يا قائدي
وصديقي .

★

بهجة اميركا الشمالية
تضحك ملء فمها . لكنها فجاة
تتلوى على سريرهـا مـن الـدولارات .
وضحكتهـا
تتجمد في تكشيرة ؛
فيما جسدك المعدني الكبير
يصعد ، وينتشر
في البؤر الثورية مثل الزنابير ؛
واسمك الشاسع الذي جرحه العسكر
يضيء الليل الاميركي
مثل نجمة فجائية ، سقطت
على حفلة عربدة .
كنت تدرك ذلك ، يا غيفارا ؛
لكنك لم تكن لتعترف به ، تواضعا ؛
لكي لا تتحدث عن نفسك ؛
تشي ، يا قائدي
وصديقي .

★

انت في كل مكان : عند الهندي
المجبول من حلم وقصدير . عند الزنجي
الغاضب ، جمعا يرغي ويزبد ؛
وعند كائن النفط والبارود
في القلق الرهيب
لشجرة الموز ، في سهوب الجلد الشاسعة
وفي السكر والملح ، وفي اشجار البن
انت ، تمثالا متحركا لدمك كما
ستكون ؛
حيا ، كما كانوا يكرهونك ؛
تشي ، يا قائدي
وصديقي .

★

كوبا تعرفك عن ظهر قلب : الوجه
ذو اللحية المتشورة .
والزيتون في جسد القديس الشاب .
حازم ، الصوت الذي يقود دون ان يأمر ،
الذي يأمر كرفيق ، ويقود كصديق ؛
الصوت الرفيق والقاسي للقائد الرفيق .
نراك في كل يوم ، ايها الوزير ،
في كل يوم ، ايها الجندي ، في كل يوم
ايها الكائن البسيط والمستعصي ؛
في كل يوم :
طاهرا مثل طفل
او مثل رجل طاهر ؛
تشي ، يا قائدي
وصديقي .

★

تمر في زي القتال
الباهت ، الممزق والمثقوب ؛
زي الغابات الذي كان سابقا
زي « السييرا » : نصف عار
جذعك الجبار بندقية وكلمة ؛
وعاصفة رعناء من الرياح والزهر البطيء .
اننا لن نعرف الراحة .
سلام غيفارا !
او بالاحرى : الى اللقاء في البشر الاميركية .
سنذهب معك . نريد
ا نموت لنحيا مثلما مت انت ،
لنحيا كما انت الان تحيا .
تشي ، يا قائدي
وصديقي .





ستيفان منشينغ

ستيفان منشينغ : ولد في ٢٧ – ١٢ – ١٩٥٨
في برلين ، ابن لمهندس كيميائي . درس في مدينة برلين ...
بعد انهاء دراسته الجامعية عمل كمحرر في قسم الاخبار بالاذاعة الالمانية .
عام ١٩٧٨ نال دبلوم – بيشر للاتحاد الثقافي في جمهورية المانيا الديمقراطية .

ثلاث قصائد من المانيا..



عودة

احيانا نـدع انفسنا
تعود في الساعات المبكرة ،
نعتصر جراحنا
واجسادنا على بعضها البعض ،
نضع ايدينا
على مساماتنا المالحة ،
نمتحن صحة ،
هذه الطيور الصغيرة الصماء ،
التي ضاعت فينا .
نحن لا نملك صوتا بعد الان ،
بجرحنا
دونما كلام ، عند عودتنا
في الساعات المبكرة .

اغنية لاصدقائي

نقف جامدين
نغني السلام ،
ونكتب قصائده
ضد الحروب ، التي لا نعرفها
والتي لم تسلبنا شيئا ،
او ربما عم او جد
لم نرهما
نحن نصدق تقارير الكبار
والكتب المقروءة ، والافلام المنظورة ،
مشاعرنا اعتيادية
نحن نستلقي على الحشائش
ونحلم بالدفء
والنعومة والغثيان ،
نعومة وحشائش
كلمتان لا تشبهان
الحرب والسلام .
حول الليالي في الاقبية
لا استطيع التحدث ،
لكني ادعي معرفة ،
ما يعنيه الهدوء والمطر
او احدى الاركان المغناة ،
نحن نملك اعينا واذان
وايدي ،
ونقف جامدين ،
نغني السلام .

ذروة الزمن

ماتت ضربات الاجنحة ،
والرياح ملقاة
على اقدام السكون .
يمضي الزمن بزرقة رمادية كالحديد .
كل شيء ينشج ، كل شيء ينتظر ،
ضربات العاصفة بانفاس وحشية..
وانبثاق العشب بهدوء
من الارض .

ترجمة : تحرير السمـاوي

شعر

احمد الحاج

كحمرة الدم في أعلامنا الحمر

امديك ماذا سامدى الحسن يا قمري
امديك ذوب حياتي صفوة العمر
امديك ملء رحاب الكون سلطنة
عرش الجمال عليها صيغ من درر
امديك ثوب وقار وشيه مقة
امديك عزم صمود قدّ من حجر
امديك نور فخار ومضة ثقة
امديك نار كفاح من لظى سقر
امديك عقد قوافي الشعر امحضه
امديك حالي، وحالي ضاق في النزر
امديك حبّا وحبّي منك منهله
انت العطاء وفيض الحبّ في نظري
كحل بعينيك ام هدى وقانعنا
سود تلألأ ام من روعة الحور
وبسمة الثغر ام هذى صنائعنا
بيض تألّق في ايامنا الاخر
وخضرة العود في خديك مشرقة
كحمرة الدم في أعلامنا الحمر
وحمرة الورد من خديك نقطفها
وسورة البأس في عينيك من شرر
وهيبة القدّ اذ تمشين في مهل
ووثبة الاسد تحمي الغاب من ذعر
ونشوة الخمر اذ تأسين من ألمي
وسكرة الموت اذ تجفين في كدر
امشي على الاين اين البرء في جسدي
امشي على الحزن في حزن الهوى الوعر
آوي الى النفس لا وصل يعللني
اعانق الوهم في وهمي وفي فكري
رسائل الشوق كم كانت لنا رسلا
وغمزة الطرف كم تغني عن الخبر
اسير في عتمات الليل لي قبس
هذا الشعاع دليل منك يا قمري

اسير تحت جناح الليل منقبضا
اسائل البدر في الظلماء عن سفري
اهيم اعشى وفي البيداء يؤنسني
بريق عينيك ردّ البرق لي بصري
انام احلم في طيف يعاودني
واغمض الجفن عن سحرية الصور
ويصرع الامل المجنون امنيتي
ويذهب الامل المفتون في هذر
اهمّ اصبر على الطيف يوقظني
ابيت ارقب في شك وفي حذر
تضيق نفسي فما تصفو هواجسها
تنوء نفسي بفكر جدّ معتكر
تهيم نفسي فما تهدا شواردها
فاحبس الطيف في قلبي من الخطر
تضيق نفسي وما تبطى سرايرها
فاحمل النفس عن وهن وعن خور
حملت منك من الاعباء اثقلني
هذا العناء ولكن لات مصطبر
شقيت فيك وهذا الوجد ارّقني
فكيف اهرب من حظّي ومن قدري
وانت تدرين كم كابدت من ولهي
فانت والطيف والاحلام في شذر
لغير عينيك ما غنّيت اغنيتي
لغير عينيك ما قوّمت للوتر
فتنت آدم لم ينعم بجنته
فبات يسعى وراء الرزق في عسر
فتنت يوسف، راعى فيك سيّده
تمزّق الثوب قدّ الثوب من دبر
لمّا اتاك ابو الحطّاب مستترا
حرصا عليك دعوت: آه يا عمري
فتنت آدم، لا، طيّبت جنته
فتنت يوسف، هذا التيه لم يزر

فتنت آدم، انـت الشعب فتنتـه
بعثت في الشـعب نفـح الفتية السمر
بعثـت فيـه جمالا لاح في وطــن
محــرر بثياب المجــد مـؤتـزر
بعثـت فيـه صـلاح الديـن منتصرا
يحــرر القـدس من محتلـّيها الاشـر
يمـرّغ الانـف للافـرنـج بهزمهـم
ويلبس الشـرق مـن اثـوابـه الزّهر
حملت فيـه مـع الـفـاروق رايتـه
بيمّم الوجـه نحو القدس والظفــر
وطـارق بن زيـاد مـنـك طـولتـه
ولوذريـق هـوى مـن قـسـوة الزئر
رايت فيـك عيـون الشعب راصـدة
لفجـر شعب الى التحـريـر مفتقر
لفجـر شـعـب يعـاف النفس صاغرة
لبأس شـعب على الاقـدار مقتـدر
رايت فيك نسـاءً مـن مـوعـدنـا
تـواعـد الـقـدر المقـدور في قدر
تجالد القرن في الهيجـاء خـولتنـا
وتمسـح الـعـار عن تاريخنا الغـبر
تعجـّل الغـوث، اذ حاقت بخالدها
جحافل الـروم، في محفوفـة السّتر
اانكر الحسن من عينيك مطلعـه
وان جهلت، فيا حـوراء ما عــذرى
اانكر الـذّل في البـسمات مـصدره
وارفض الغنـج رفـض الوحـش والزئر
اانكر العنـف في كفيـك قـسـوته
وانكر الصبر مقدودا من الحجـــر
اانكـر العـزم مـن آيـاتـه شـفـة
ليـست عن القبلات الطهر في زور
وانكـر الوقـد في العينيـن مكتحلا
بميـل سحر لصبّ فيـه محتضـر
وانكـر الوطن المكلوم سـاطعـة
حقوقـه كسطوع الشمـس في الظهر
هـذى الهديـة ارجيها ولـي امـل
ان تقتنعـي ببيـان جـدّ مختصـر

الـخطبـــة

شعر دونات سايز

ولد الشاعر عام ١٩١٤ ــ شاعر يستمد شاعريته منذ البداية مــن تجربته الاجتماعية الفنية ، ويعبـر عن رؤية بروليتارية للعام ، ويضفي على اهدافه الايديولوجية طابــع التحليل النفسي والنقدي وله فـي الوقت ذاته اتجاهه الخاص .

بعد الحرب العالمية الثانية اتجـه نحو النشر فكتب الرواية ، ومضى في كشوفه الفنية ، ملتزما بقضايـا الانسان والتاريخ ، ومعبرا عــن الطموحات الخلاقة في العالم المعاصر

وانا اقول لكم : انما الحيــاة كل
رايت الاعشاش والمياه وقلب الانسان
واضطراب الفضاء الذي يضارع همس العشاق
ويفتح ابواب سمائه بورقة الورد
انظروا : لقد حدثت الاشياء الخطيرة .
تجذر الكلمات وتغصن
الابعاد التي بلا لون تجد بيوتها وتعبق بالخبز
ولا يلبث الرحل المتعبون ان يعودوا ..
سيعودون ..
لكي يجدوا غبار السبل وقطرة الندى
في اللغة الام
وما كان كلا سيصبح الاقل :
الكف لا تكفي
بل الذراع
فلتذر السنون في الفاظ الاطفال
بدلا من أمس
وزمان الارادة لينسى بدون شواطىء
وتعود الانهر الى مصادر كل الثقة
وسيكون كذلك :
لانه ليس ثمة غير هذا الطريق
لكي يصبح الانسان زرعا لغده
ومولودا للحب سبع مرات
يجب ان يسمع الغناء .
وتضع الريح قوس الشفاه
على ورقة الورد

صدر مؤخراً

الرماد الطبقي على الارض الصلبة

علي عثمان

اصدرت دار الاسوار ـ عكا، هذه "الدراسة التراثية" بقلم علي عثمان، وبذلك اضافت الى مجموعة الكتب التراثية التي برز من بينها مؤلف الشاعر علي الخليلي "التراث الفلسطيني والطبقات".

والكاتب علي عثمان عالج التراث من قبل في مقالات نشرتها مجلات الضفة المحتلة واشار اليها في هذا الكتاب.. ومن مقالاته: "أمثالنا الشعبية انعكاس لوجودنا الاجتماعي" و "تنشئتنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الفروق الفردية بين الذكر والانثى".



ويقع الكتاب في ٨٥ صفحة من الحجم الصغير ويتألف من الفصول الاتية: "تراثنا الشعبي انعكاس لواقعنا الاجتماعي".. "السلطة الطبقية والتراث".. "الوضع الطبقي للاسرة في التراث".. "الوضعية الطبقية للمشاركة الاسرية".. "الرجل والمراة في مفاهيم التراث الطبقي الاقتصادية".. و"تفعية الابناء في المفاهيم الطبقية في التراث".

ويشمل الكتاب على عدد كبير من الامثال الشعبية التي تعكس الحياة بالوانها المتباينة وظروف الناس العاديين.

وتصور الامثال المعاصرة، التي تخضع لها العلاقات الانسانية والجنسية، مدى التعقيدات الاجتماعية بل التخلف الذي لا يزال الى حد ما تصيب المجتمع العربي ـ الفلسطيني.

ولكن من الضروري دائما تجنب الميكانيكية وعدم ضغط المظاهر الاجتماعية وتعابيرها الفكرية، ومنها الامثال في اطر طبقية قسرية.. فمن الامثال ما لا يخضع للتقاطب الطبقي.. اذ يشير الى السيادة الذكرية.. بل هو نتاج خبرة انسانية عامة.. ولذلك فاقحامه في اطر هذا التقاطب او تلك السيادة لا يغني العمل الجاد.

ومع هذا فالكتاب يسهم في دراسة التراث ويغنيها.

~ ~ ~

ثمن الموضوعية

مسعود حمدان

اهدى مؤلف "ثمن الموضوعية" مسعود حمدان كتابه: "الى كل انسان في كل مكان وزمان".

ويقع الكتاب، الذى صمم غلافه فارس حمدان، في ٦٤ صفحة من القطع الصغير، وهو يشمل لوحات وجدانية ـ بلغ عددها اثني عشرة لوحة، من عناوينها "حبيبتي التي ليست حبيبتي".. "الهزيمة الجماعية".. "صفر مدور".

ووصف الكاتب كتابه بانه "لوحة تحليلية تعرض في طياتها لا معقولية العلاقة بين الشاب والفتاة في المجتمع المحافظ، هذه اللامعقولية التي هي في الحقيقة، واقعهم التافه بمأساويته والماساوى بتفاهته على حد سواء والذى لم تفرضه عليهم الا الهزيمة الجماعية الناجمة عن الوهم الواحد لدى العقلاء...".

وفعلا تشع "اللامعقولية" في الكتاب ؟؟

~ ~ ~

الــدرب

صدر مؤخرا، عدد نيسان، من مجلة الدرب وقضايا السلم والاشتراكية التي يصدرها الحزب الشيوعي الاسرائيلي، وهي تضم نخبة من الدراسات والمقالات النظرية، فالدكتور اميل توما يحلل طبيعة العلاقات الاسرائيلية الامريكية بعد وصول ريغن الى البيت الابيض مؤكدا في ختام مقاله انه لم يحدث تغيير جذرى في سياسة حكام الولايات المتحدة ازاء الشرق الاوسط بشكل عام واسرائيل بشكل خاص.

وفي العدد ايضا مقال مترجم عن "زوهديرخ" بعنوان الطوائف الشرقية في منظور طبقي، يتوقف فيه الكاتب عند المميزات الطائفية للتركيب الطبقي للمجتمع الاسرائيلي.

"الفلسطينيون: معركة في سبيل الوجود الوطني". مقال نعيم الاشهب عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الاردني، الى جانب مقالات اخرى مترجمة، هي: "قضية الوقود والطاقة في بلدان مجلس التعاضد الاقتصادي" كتبه اوليغ بوغومولوف، ومقال الدكتورة ريناته ميركل، بعنوان: "الحزب، التراث النظرى في الممارسة الثورية"، ومقال بيورن تمرون بعنوان: "معاداة السوفياتية جوهر معاداة الشيوعية". وملاحظات هامة يقدمها صحفي ايراني حول "مذكرات الشاه الايراني ودور الامبريالية الامريكية المشؤم، ويختتم العدد بمقابلة اجرتها مجلة قضايا السلم والاشتراكية مع الدكتور حسين مروة، حول مؤلفه الكبير: "النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية".

جدي اصبح ذكرى

سهير خليل ـ الناصرة

الى اسـرة تحرير مجلة "الجـديـد"..
أنقدم باحدى قصصي آملـة أن تجدوها ملائمـة للنشر في مجلة "الجـديـد". حبذا لو كان رد فعلكم تجاهها واضحا وسـريعا، ولكـم الـشكر ولمجلتنـا "الجديد" الاحترام.

سـهير خـليـل
النـاصـرة

الزقاق معتم.. يجب ان اسرع في سيرى. ليتني أصل سريعا قبل عودة ابي الى البيت. لكن. لا استطيع ان اسـرع أكثر. اقدامي تتعثر، لا بـد ان هذا السرداب لم يتغيّر منذ مئات او حتى آلاف السنين. هنا سار كثير من البشر. فانا اشعر بالحصى تصبح دبابيس وسط الاسمنت المتآكل حولها. اتمنى لو انني لا امر فوق هذه الدبابيس مرّة أخرى.. والى الابد. لكنني اعرف تماما ان غدا سيكون كاي يوم مـن الآف الايام التي سبقته. سـامر في هذه الطريق دون الانحراف خطوة واحدة عن المسار المعهود. أسـمع امي تقول في كل مناسبة: "أن طريقنا المحفور هنا هو الطريق الصحيح. انه آمن وفي كل الظروف مريح، فلنمضي به مطمئنين".

الشعار يتردد في اذني كلما مررت في هذا السرداب.. أراه مكتوبا في لافتة معلقة عند احد الزوايا منذ الفي عام. انها تبدو كلافتة اثرية، او احدى علامات الطرق.

غدا لن أرحل بالتاكيد. كل ليلة اظن انني سأنتقل من هذا الحي، ولكن في الصباح اكتشف ان سريرى ما زال ملتصقا بسرير جدّي. لقدت الامل حتى في الموت. اني لا اخاف الموت.. لا اخاف ان اخدع نفسي.. ان اوهم نفسي باني حيّة.. ومن جهة اخرى أرى الجميع يخافون الموت.. يخافون أن يتمثـل الموت قريبا في جدّي المسجى على الفراش منذ وعيت دون حراك. المؤكد انه لولا مجيء جدّي للحياة لما كنت هنا. لكن مـا فائدة ان اكون على هذه الحال. كأني اعيش فقط من اجل جدّي؟؟

"على الاقل يجب أن تسرعي حتى لا يظهر فوق وجه جدّك عـلامـات الانزعاج". هكذا تقول امي دائما.. فان جدّي كلما رآني عائدة الى البيت متأخرة هكذا، يغضـب ويتمثـل في تعبيروجهه هذا الغضب المكبوت... واحيانا يصل به الى عدم تناول حسائه الذي يبدو انه لن يتغيّر الى نهاية الدهر. فكل ليلة بذات الموعد يظهر في يد امي نفس الوعاء والكمية ذاتها من الحساء من نوعية لا تتغير. أمي ايضا لا تتغيّر من ليلة الى اخرى. انها تقدّم الحساء لجدّي بالاسلوب ذاته، وبنفس علامات الحزن واليأس تسكب الحساء في حلقه. لا انسى انه قد لا يتناول المسحوق الاصفر هذه الليلة بسبب تأخرى. المسحوق الذي يحنطه لعدة ساعات اخرى امام انظارنا... نعيش حياته الماضية "قمة ما نرجو ان نصل اليه" كما تقول امي.

الجميع يتهمونني بكـره جـدّي. وجدّي كأنه غير موجود. لا يبدو انه يسمع ما يقال ولا يحتد سمعه الا عندما يتأخر احدنا خارج البيت. أمّا حقيقة الامر فانني كلما تذكرته يهتز في نفسي الحب والحنين. لكن لا استطيع ان امسخه دون ان اعير ذلك اي انتباه. ان ابني له تمثالا واجعله يعيش بكل انفعالاته وبطولاته السابقة بدلا مني. ان جدّي لا يشعر بلذة وجوده الحالي بيننا ونحن جميعا لا نشعر بلذة الحياة بكل ظروفها الماضية.

وصلت الى البيت لكن العتمـة اصبحت ظلاما دامسا. يبدو ان ابي لم يعد بعد. فغرفته غير مضاءة. هو الآخر متأخر هذه الليلة. كم سيغضب جدّي هذه الليلة؟؟ انه لم ينجح في ان يسيطر علينا بشكل كامل، وخصوصا على والدي. ان والدي يقتنع بآراء جدّي وينفذها بحذافيرها علينا. ومع ذلك فهو في سلوكه يشذّ عنها.

اصبحت قبالة سرير جدّي.. قبالة جسد جدّي المحنط. قبالة وجهه الذي اكتسب بسرعة علامة الانزعاج. بسرعة اختبىء في سريري، اغمض عيني تحت الغطاء. لا اريد ان افكر في شيء او اتخيّل الى اي مدى قد يصل غضب جدّي هذه الليلة.. انا مجرد مجرمة صغيرة تريد أن تهدم بناية عتيقة كبيرة.. وعالية.. و...

احس انفاس الصباح تتسرب الى جسدي من جوانب الغطاء. لا يزال الغطاء يغطيني تماما. هـذه المـرة الاولى التي استيقظ فيها لوحدي. اين ابي..؟ ازيح الغطاء عن وجهي. آه.. ما هذا الضـوء الغريـب؟ انـه يرغمني على اقفال عيني.. واعود فافتحها وأرى ان سرير جدّي بعيـد عن سريرى. انه في اقصى الغرفـة وقد اصبح خفيفا من اي ثقل. يا الهي ايمكن ان يكون قد حدث ذلك؟ هل انا قاتلة؟ قاتلة؟ كيف اقتل شـجرة كبيرة ذات جذور طويلة؟؟؟

حب مع سبق الأسرار

من بيت جالا أرسل لكم هذه الرسالة مع كل تقديري واحترامي لجهودكم الجبارة في العطاء من خلال مجلتكم الغراء "الجديد"، ويسرني جدا أن أشارك الاخوة كتاب "الجديد" بهذه القصيدة المرفقة آملا أن ترى النور على صفحات مجلتكم الرائدة.

الف تحية .. وشكرا
موسى حداد



موسى حداد

(١)

اليك حبيبتي ميفا، أهدي كل
آمالي وآلامي
وأرسل في حنايا الليل أشواقي
تقبل كل زيتونك ..
تعانق كل ليمونك ..
تطهر جرحك المسموم من كل
الجراثيم التي تحيا بداخله
وترجع مع خيوط الفجر تسكن في
شراييني
وتنتظر ...
بداية ليلة أخرى

(٢)

هناك حبيبتي ميفا، تنتظر ....
رجوع الاهل والاحباب
وتنتظر ...
رجوع ربيعها الاخضر
فتربتها التي كانت وما زالت
تدنسها أيادي الغش بالقوة
وتفسدها ...
سترجع مع ربيع الحب طاهرة
وكل الغش يحتضر .

(٣)

على جسدي الذي ما زال مصلوبا
على الاشواك تنبت زهرة حمراء
تسكن جرحك الدامي
أحبك رغم هذا الشوك
وهذا الحب أكبر من حدود القلب
أكبر من مساحاتي ومن جسدي
يغطي كل آلامي .

(٤)

على زيتونك المخضر من حبي ومن
عرقي ومن دمي
رسمت حدود خارطتي ..
رسمت دموع أطفالي ..وآمالي
وطفت الكون بحثا عن رفاق العمر
وعدت اليك يا ميفا، مع حبي
وأسراري
نعم ميفا، لن أنسى مودتنا
ولن تفنى علاقتنا
على الازمان باقية
مع التاريخ باقية
ورغم السجن والسجان لن تفنى
علاقتنا
ولن تفنى عواطفنا ...
وان منعوا تداولها
ورغم فظاعة القضبان .../
رغم صلابة الجدران
تعبر الهواء بالقوة
وتفني من يعاديها .

(٥)

لاني واضح في الحب لا أخفي
انفعالاتي
يدينوني . لاني لا أرى في الحب
ما أخفيه عن غيري
يلوموني .
لان الحب في نظري كنور الشمس كل
الناس تبصره
ولا تقدر أيادينا على حجبه
سياط الحقد ...تجلدني ..
وتلهبني .. وتكويني .
تشوهني .. تغير شكل تكويني .
وتصلبني على جدران ظلمتها
تعفن من رطوبة حقدها جسدي
ولكني أحبك دائما ميفا،
وما ذنبي سوى أني ....
فلسطيني .

هكذا يعاملونك ايها الوطن

سيشمل هذا الباب ـ ونبقى على موعد ـ صفحة جديدة يستطيع القراء أن ينقلوا عبرها انطباعاتهم ومشاهداتهم عمّا تقوم به سلطات التمييز العنصري من تشويه لجمال طبيعة هذا الوطن واهانة لمقدساته العربية. ونرجو ممن يكتبون الينا أن يرفقوا الصور المعبّرة والوثائق الخاصة خصوصا تلك التي تصدرها وزارتا الاديان والسياحة عن الاماكن الاثرية والمقدسات. و"الجديد" اذ تشكر الاخ جوهر سعيد سعيد من كفركنا على هذه اللفتة فانها ترجو أن يواصل اهتماماته بهذا الموضوع وأن يوافينا دائما بما لديه من معلومات وانطباعات وصور.

طبريا

جوهر سعيد سعيد ـ كفركنا



مما يلفت النظر في خريطة مدينة طبريا التفصيلية والتي توزّع على السياح الاجانب، ابراز مسجدين من مساجد المدينة الثلاثة. الاول المسجد الكبير في السوق وهو جامع الزيداني الذى بناه يوسف العمر شقيق ظاهر العمر الزيداني عام ١٧٤٢.

هذا المسجد تاريخي جدا وجميل الا انه مغلق لاخفاء النقوش العربية الاسلامية، من الجهة الشمالية، وامّا من الجهات الاخرى فهناك تتراكم اكوام الزبالة والنفايات، شبابيك المسجد مكسرة وبعضها سد بالباطون.

في الداخل، المنبر مهدّم والارضية مليئة بالاوساخ وزجاجات البيرة والخمرة مما يدل على ان هناك من يستعمل المكان للسكر وتعاطي المخدرات والدعارة. قبة المسجد مشققة وآيلة للسقوط.

المسجد الثاني هو جامع الجره ويستعمل اليوم كمتحف للبلدية.

والجامع الثالث قائم في المقبرة الاسلامية وهو مهدّم تتساقط جدرانه على ارض المقبرة التي تتراكم عليها النفايات.. قبورها مهدّمة ومهانة تحت سلطة قانون أملاك الغائبين.



هيئه التحرير تعتذر

□ الى الاخ احمد غانم ـ المغار :
نعتذرعن عدم نشر تعقيبك على موضوع "التراث الدرزي" وذلك لاننا اقفلنا الحوار حول هـذا الموضوع . هيئة التحرير تحييك على هذا الموقف الواعي وعلى ارائك التقدمية التي برزت في تعقيبك على هذا الموضوع ، وتتمنى لك ولجميع التقدميين الوطنيين كل النجاح في نسف موءامرات السلطة على ابناء الطائفة الدرزية العربية .

□ الى كاتب قصيدة "الحالات المتعددة للوجه الواحد" :
نعتذر عن عدم نشر القصيدة لانها ضعيفة ، نعتقد انه بامكانك ان تكتب افضل منها .

□ دراسة حول اثر الادب العربي على الادب الاوروبي :
هذا الموضوع شاسع وهام جدا ، ويحتاج الى بحث ومعالجة اعمق بكثير مما كتبه كاتب هذا المقال . ولذا فاننا نعتذر عن عدم نشره لانـه لم يكتب باسلوب علمي وانما هو استعراض سطحي لبعض الاراء غير المدروسة حول جوانب تاثير الادب العربي على الادب الاوروبي .

□ قرعت اجـراس الرحـيـل :
قصيدة ضعيفة ومفككة ، نعتذر عن عدم نشرها .

□ الى كاتبةالصور القلمية : متى يلتقيان ، وحلمت بك تاتي . . وغيرها من المواد :
لا نستطيع ان نرد على هذه المواد من على صفحات "الجديد" لضيق المجال ، ولكن بشكل عام ما ينقصها هو الحبكة القصصية السليمة ووضوح الفكرة وجمالية اللغة التي تمنح النتاج النثرى قيمته .

□ الى كاتب قصيدة "نغمة حب" :
قصيدتك ضعيفة ونامل الا نكون قد خيّبنا املك ، نرجو ان تواصل الكتابة والتاليف وهـذا هـو الطريق الاهم لانتاج عطاء صالح للنشر .





الزواج والطلاق في النظامين الرأسمالي والاشتراكي

بقلم : مها خوري - عكا

الزواج والطلاق في النظام الرأسمالي

في المجتمعات البرجوازية يعتبر القانون وسيلة لتحقيق الاهداف الطبقية الراسمالية الحاكمة والتي تتلخص في حماية الملكية الخاصة . لذلك فمن الطبيعي ان يكون وضع الزواج والعائلة في نظام كهذا موجّه نحو حماية هذه الملكية . وكتب ماركس يحلل تحليلا عميقا علاقات الزواج والعائلة السائدة في النظام الراسمالي يقول ان البرجوازية قد ادت بالعلاقات العائلية الى علاقات نقدية بحت . (١) والدليل على هذا ان في اكثرية الدول الراسمالية لا يوجد مجمع قوانين خاص بالعائلة . فالقوانين التي تبحث في قضايا الزواج والعائلة تدخل بشكل عضوي في القانون المدني ، اى القانون الذى يبحث في العلاقات النقدية بين الناس ، وتعتبر جزء لا يتجزأ منه .

ان الزواج في المجتمع الراسمالي عبارة عن صفقة أو اتفاق يعقد بين الرجل والمرأة . والاهمية الكبرى في عقد كهذا تعطى للعلاقات النقدية بين الطرفين ، لان العائلة البرجوازية قائمة على "راس المال ، والربح الخاص" . (٢)

تقسّم الماركسية العائلة في النظام الراسمالي الى شكلين من العائلة – عائلة المستغل وعائلة المستغل . عائلة الراسمالي وعائلة العامل . امّا الفارق الجوهرى بين هاتين العائلتين تكمن في أن تأسيس العائلة البروليتارية قائم على الدوافع الانسانية وليس على الدوافع النقدية ، اذ يعقد هذا الزواج بعد حسابات مصرفية .

وكتب انجلس في هذا الصدد أن القانون البرجوازى قائم للمالكين ولخدمة علاقاتهم المتبادلة مع البروليتاريا : هذا القانون يقوم على النقود ، ونتيجة فقر العامل فهو لا اهمية له علاقته مع زوجته . هنا تلعب الدور الاساسي ظروف العامل الشخصية والاجتماعية . (٣)

وهكذا تخضع العلاقات الشخصية بين الافراد في العائلة الراسمالية الى علاقات الملكية .

وتنقسم جميع الدول بالنسبة لشكل الزواج الى ثلاثة اقسام :

١– الدول التي تعترف بالزواج المدني ، اى الزواج الذى يعقد في مؤسسات حكومية . في هذه الدول لا يؤدى الزواج الديني الى نتائج قانونية (فرنسا ، المانيا الغربية ، الدول الاشتراكية وغيرها من الدول) . ويعتبر هذا الزواج الاكثر تقدما في وقتنا الحاضر اذ يفصل بين الدين والدولة في ميدان هام من العلاقات الانسنية في المجتمع – ميدان الزواج والعائلة .

٢– الدول التي تعترف بالزواج الديني فقط . اى الزواج الذى يعقد بموجب الطقوس الدينية ويجريه رجل دين يمثل طائفة العروسين . ويسجل في سجل خاص وتصدر به شهادة زواج للعروسين – وهذا الشكل من الزواج يعتبر ملزم لمواطني هذه الدول ، حتى لو كانت لا تصلهم اى صلة بالدين (اليونان ، اكثرية الدول العربية واسرائيل) .

٣– الدول التي تعترف بالزواج المدني والديني معا ، والاختيار بين احدى هذين الشكلين يرجع للعروسين ، وتنتمي لمجموعة هذه الدول مثلا : بريطانيا ، البرازيل ، اسبانيا ، ايطاليا ، فنلندا .

وهناك الزواج الذى يعرف بالزواج الواقعي أو الحقيقي وهو عبارة عن زواج لا يعقد بصورة رسمية ولا تصدر به شهادة زواج وهذا يتم حين يعترف المجتمع برجل وامرأة كزوجين . فيكون لهما بيت مشترك واقتصاد منزلي واحد . هذا يكفي لان يكون لهذه العلاقة خلفية قانونية . زواج كهذا معترف به في بريطانيا ، في بعض الولايات الامريكية – كولورادو وفي اسرائيل .

لقد طرأت في السنوات العشر الاخيرة تغييرات هامة على قوانين العائلة في الدول الراسمالية ، بريطانيا ، فرنسا ، المانيا الغربية ، ايطاليا ، اميركا ، اسبانيا وغيرها .

لقد تم سن قوانين جديدة في هذه الدول غيّرت الكثير من أسس تنظيم علاقات الزواج والعائلة . ولكن مع أن هذه التغييرات ، وقد احرزت نتيجة نضالات القوى الدمقراطية في هذه البلدان وتحمل طابعا دمقراطيا ، الا





انها لم تستطع ان تغيّر الطابع الطبقي ـ بما فيه من رواسب عهد الابوة، الذى يقوم عليه قانون العائلة الرأسمالي كسلطة الاب في العائلة وعرقلة الطلاق، وحماية حق الرجل في اختيار مكان سكن العائلة والكثير من الاسس الرجعية التي لا تزال قائمة في هذه الدول.

ويقوم القانون البرجوازى على التمييز بين الرجل والمرأة في العائلة. ويظهر هذا التمييز في مختلف مجالات الحياة العائلية. مثلا في ايطاليا ينص البند ١٤٤ من مجموعة القانون المدني على ان "الزوج هو رب العائلة، وعلى الزوجة ان تتبع الزوج في حياته الاجتماعية، وأن تحمل اسم عائلته، وعليها ان تلحق به اينما كان، وأين سكن".

امّا القانون الفرنسي فيعطي الاب، رب العائلة، الحق في ان يسمح لاولاده بأن يغادروا المنزل او ان يتقدموا للعمل وان يتعلموا. امّا الام فلا يحق لها ان تحسم في هذه القضايا. وفي حالة مرض الاب أو وفاته تحل هذه القضايا عن طريق المحكمة.

هذا بالاضافة الى بعض البنود العنصرية التي يتضمنها قانون العائلة البرجوازى. وتظهر هذه العنصرية مثلا في التشريع الاميركي. حيث يمنع القانون منعا باتا عقد الزواج بين الاميركيين البيض وبين الزنوج. وذلك في ثلاث وثلاثين ولاية امريكية. وفي كثير من الولايات يمنع زواج البيض من الهنود او الصينيين واليابانيين (٤) وفي حالة رغبة افراد من الجماعتين في الزواج فعلى العروسين ان ينتقلا الى ولاية تسمح بزواج البيض والسود. وطبعا هذه الظواهر العنصرية ليست غريبة عنا نحن مواطني دولة اسرائيل. اذ ان القانون، انطلاقا من تمسكه بالدين اليهودى يمنع عقد زواج اليهود مع غير اليهود اى العرب.

ويظهر التمييز بين الرجل والمرأة ايضا في مجال الملكية في العائلة. ففي ايطاليا مثلا يمنح القانون الرجل حق التصرّف في املاك العائلة. هذا بالاضافة الى حقه في التصرّف في املاك زوجته أيضا. امّا الزوجة فلا يحق لها ان تتصرف في املاك العائلة الا بموافقة زوجها.

وفيما يخص الطلاق، فحتى يومنا هذا هنالك دول راسمالية يمنع فيها الطلاق كليا، في اسبانيا وايرلندا وتشيلي وكولومبيا وسان مارينو ودول أخرى. وهذا طبعا ناجم عن تأثير الكنيسة الكاثوليكية التي تعتبر الزواج رابطة مقدسة لا يحلها الانسان (فما يربطه الله لا يحله الانسان). امّا في ايطاليا فبالرغم من ضغوط الكنيسة ومعارضتها فقد تم سن قانون سنة ١٩٧٠ يسمح بالطلاق في الدولة في حالات معينة ومع هذا فلا تزال هناك محاولات لالغاء هذا القانون. وقد اضطرت الحكومة قبل فترة وجيزة الى اجراء استفتاء شعبي حول القانون. ونجحت القوى التقدمية وعلى راسها الحزب الشيوعي الايطالي في ابقاء هذا القانون سارى المفعول. امّا قبل سن هذا القانون فقد كان المواطنون الايطاليون مضطرون الى ان يسافروا الى خارج البلاد لاجراء مراسيم الطلاق.

وينص القانون في الدول الراسمالية على شروط ملموسة يستطيع الزوجين عندها الحصول على الطلاق. وفي كثير من الاحيان تكون الشروط مهينة وتحط من قيمة وكرامة الزوجين. وتحكم المحاكم بالطلاق في كثير من الحالات نتيجة لتصرف شاذ او لذنب احد الزوجين. ولهذا يضطر الواحد من الزوجين الى ان يثبت ذنب الاخر وطبعا هذا يسيء في النهاية الى الطرفين.

الزواج والطلاق في النظام الاشتراكي

امّا في المجتمعات الاشتراكية فقانون العائلة يصدر عن القانون الاشتراكي عامة. وكونه قانونا مستقلا لا جزءا من القانون المدني ينبع من جوهر العلاقات العائلية التي تقوم بين الجنسين في اطار عائلة معينة في المجتمع، اى بين الزوجين والوالدين والابناء والاقرباء. ولا يمكن ان تنشأ هذه العلاقات بين افراد لا تربطهم رابطة عائلية، ولا تخضع هذه العلاقات الى النظام النقدى وهي صفقات تجارية كما هي في القانون المدني البرجوازى. ولهذا قانون العائلة في النظام الاشتراكي هو فرع مستقل وقائم بحد ذاته.

يحدد القانون الاشتراكي الزواج على انه اتحاد حياتي بين الرجل والمرأة، اساسه المساواة والحب والاحترام والثقة والتفاهم المتبادل والاخلاص والتعاون غير المغرض.

هكذا يعرف القانون الاشتراكي الزواج، بعيدا عن علاقات الملكية الخاصة والصفقات. اذ يعطي الاهمية الكبرى للعلاقات الانسانية بين الرجل والمرأة. فهو عبارة عن اتحاد بين افراد من الجنسين متساوين في جميع الحقوق والواجبات (اسم العائلة، تحديد مكان السكن،

اختيار المهنة، تربية الاطفال، الملكية في العائلة)، اذ يرفض سلطة الزوج والاب والاخ والابن في العائلة.

ان شكل الزواج المعترف به في الدول الاشتراكية هو الزواج المدني. ولكن يستطيع الزوجين عقد زواج ديني بينهما ولكن هذا الاخير لا يقرر الحقوق والواجبات القانونية، ويعقد فقط بعد عقد الزواج المدني.

هنالك مبادئ اساسية ترتكز عليها العائلة في الدولة الاشتراكية. فواجب كل فرد في العائلة أن يدعم ويساعد افراد العائلة الاخرين ماديا ومعنويا. وهذا الاساس يعتبر تعبيرا عن مستوى العلاقات بين افراد العائلة في المجتمع الاشتراكي. وتنعكس بدورها في بعض القوانين التي تنص على النفقة المتبادلة بين الزوجين، بين الوالدين والاولاد وبين افراد العائلة الاخرين. وينص قانون العائلة في رومانيا على ان المساعدة المادية في العائلة هي من واجب الزوجين والوالدين والجدين والاحفاد والاولاد وافراد آخرين في العائلة. طبعا هذا يساعد على ترابط العائلة اكثر وعلى الشعور بالمسؤولية بين افرادها (البند ٨٦). اما القانون البلغاري فينص على انه من واجب الجد والجدة تقديم المساعدة للوالدين في تربية الاطفال وفي تنشئتهم نشأة صالحة لخدمة المجتمع والوطن وتربيتهم على احترام ومساعدة الوالدين. وينص أيضا



على المسؤولية المتبادلة بين الابناء والاحفاد تجاه والديهم وجدودهم (البند ٥٩).

وتمنع الدول الاشتراكية زواج الاقارب حتى درجة معينة. وذلك للمحافظة على صحة الزوجين وصحة اطفالهما. في رومانيا مثلا يمنع الزواج من الاقارب في الدرجة الرابعة (البند ٦).

ويصدر القانون الاشتراكي من منطلق المساواة بين الرجل والمرأة. وانطلاقا من جوهر الزواج باعتباره اتحادا أساسه الحب والاحترام والمساواة فمن حق الزوجين ان يختاروا اسم العائلة بعد عقد الزواج. ويؤمن قانون المانيا الدمقراطية حق الزوجين ان يحملا اسم عائلة مشترك، ويمكن أن يكون اسم العائلة هو اسم عائلة الزوج او اسم عائلة الزوجة (البند السابع). وينص القانون البولوني على حق المرأة في ان تحافظ على اسم عائلتها بعد الزواج او ان تضيف لاسم عائلتها اسم عائلة زوجها او ان تحمل اسم عائلة الزوج.

ويمتاز قانون العائلة الاشتراكي بكونه يقوّم العائلة كوحدة متماسكة ويسعى للمحافظة على عدم تجزئتها.





ولهذا فالملكية في العائلة هي ملكية عامة لافرادها جميعا . مما يجعلهم يعيشون في مستوى حياة واحد . وهذا دليل على مساواة الزوجين في العائلة . والملكية العامة تشمل كل ما يقدمه الزوجان من عمل وادوات في منزلهما المشترك .

ومما يدل على كون الزواج يحمل في ثناياه اهمية ومغزا اجتماعيا هاما، اعتباره نواه المجتمع الاشتراكي، ولهذا فالطلاق يجرى تحت اشراف الدولة .

ان قوانين الدول الاشتراكية عامة لا تشير الى الحالات التي يجب أن تتوفر حتى يتم الطلاق . فالطلاق يتم في حالة اقتناع المحكمة أن العلاقات العائلية بين الزوجين قد تدهورت الى مرحلة لا يمكن اعادتها الى وضعها الطبيعي . والمحكمة في هذه الحالة تنطلق من مفهوم الاشتراكية أن الزواج يحمل معناه الحقيقي للمجتمع في حالة واحدة فقط ان حين يتسم بمعناه ومدلوله الحقيقي للزوجين والاولاد . أمّا اذا انهارت العلاقات العائلية وتدهورت العلاقات بين الزوجين فلا حاجة لعائلة شكلية فارغة من جوهرها . وكتب ماركس بهذا الصدد "ان الطلاق يثبت فقط الحقيقة، فالزواج الذى يصل الى الطلاق هو زواج غير قائم، ووجوده وهم وخداع" . (٥)

ومع أن القانون لا ينص، كما ذكرنا، على حالات الطلاق الا ان تجربة المحكمة وبحثها قضايا الطلاق العديدة والمتشابهة بلورت أسباب الطلاق المتعددة ، ومنها : الخيانة الزوجية، عدم توافق الطباع، تعاطي المشروبات الروحية بكثرة، سكن الزوجين المنفرد واسباب عديدة أخرى .

وفي وسع المحكمة أن ترفض طلب الطلاق في حالة تقديم الزوج المذنب في هدم العائلة طلب بالطلاق وعدم موافقة الطرف الثاني على ذلك . .ولكن ذلك يشترط ان تعتقد المحكمة ان بامكان الزوج اعادة الحياة العائلية الى مجراها الطبيعي . وهام أن نذكر ان القانون يوفر حق متساوى للمراة والرجل في طلب الطلاق . وكون المراة مستقلة اقتصاديا وبامكانها اعالة نفسها دون ان تتطفل على الرجل في المجتمع الاشتراكي يجعلها قادرة على ان تطلب الطلاق، في حالة انهيار العائلة، دون اى تردد أو خوف على مستقبلها . فهي قادرة على أن تبني حياتها بنفسها دون أن يخططها ويرسمها لها الاخرون .

المصادر :

======

١) مجلدات ماركس وانجلز، المجلد ٤، ص ٤٢٧ .

٢) نفس المصدر ، ص ٤٤٣ .

٣) مجلدات ماركس وانجلز، مجلد ٢١ ، ص ٧٤ .

٤) ن.ف .أدلونا : "الزواج والعائلة في القانون الدولي الخاص" ، موسكو، العام ١٩٦٦، ص ٢٢ (باللغة الروسية

٥) مجلدات ماركس وانجلز ، المجلد الاول ، ص ١٦٣ .

رجال قضى عليهم في السجون. قالوا كثيرا عن جرائمه وخرافاته وخمارته ولكنني صحت بألم "وما ذنب الاطفال يقضي عليهم؟ما ذنب البراعم الصغيرة تقطع وهي لم تذق بعد حلاوة الحياة؟". قالوا انهم يخططون لقتله منذ سنين وسنين، ولكنهم لا يعتزمون تنفيذ خطتهم الان، وربما لم يستطيعوا قتله، ولربما نفذها غيرهم.. ولكن أين سيفر من المصير المحتوم؟

نصحوني بأن امضي الى البيت لاكمل لوحتي واضافوا بأنهم ربما احتاجوا الى سكيني ذات يوم. ودعتهم وانصرفت.

— ٩ —

جلست أمام اللوحة وواصلت الرسم. انطلقت الى الوجه مباشرة، أريد أن أجعل الضحكة تنبثق كزهرة لا تذبل. كانت يدي تعمل بلا توقف، والالوان تتجمع شيئا فشيئا مشكلة الوجه. فجأة أخذت يدي ترتجف واهتزت الفرشاة. هل يمكن أن أرسم الفرح وكل ما حولي دمار؟ هل أقدر أن أصل الى الضياء في هذا الظلام؟

وفي تلك اللحظة كنت أرمق السماء فرأيت البرق سيفا يبتر معصمي. أضاءت البروق المنزل فخيل الي أن الشجرة ترقص في فرح. تناولت الفرشاة واندفعت في الوجه صحت: تعالي ايتها الصبية القاطنة مملكة الصمت، انهضي من رقدتك الابدية وسيري معي بضع خطوات. تعالي الي فستكونين هنا، الى الابد، حيث لا موت ولا صمت، انهضي.. انهضي.. وضاعت كلماتي في غمرة دوى عنيف هز السماء. وتتابع قصف الرعد، واهتز المنزل وانتفضت الشجرة مذعورة. سمعت هديرا وزئير غابة من الوحوش، واندفع الهواء رياحا هوجاء من كل جهة. وبغتة تساقط المطر مدرارا. اندفع يضرب الجدران والابواب والنوافذ كجموع هائلة من الجياع، وتتابع قصف الرعد، وامتشقت السماء بروقها واضاءت الفضاء واكتسحت الظلام. واستمر المطر في دقه على النوافذ يريد الدخول. وخيل الي أن السقف يتشقق والماء يتسرب منه. واصمني الضجيج وقيد الرعد ذراعي. وبصعوبة حررت يدي وواصلت الرسم فازداد المطر صخبا، واشتد قصف الرعد. اهتزت النوافذ وتأوهت الابواب. وسمعت أغصان الشجرة ترتجف بردا ورأيتها تدق النافذة وكأنها تطلب دفئا وأمانا.

واصلت الرسم وشعرت بكياني كله يتهدم واصابعي عاجزة عن مسك الفرشاة لكن النهاية بدت على بعد خطوتين. خطوتان فقط وينتهي التعب. وهذه الضربات الاخيرة ستحدد كل شيء. وقبل أن اخطو خطوة واحدة رأيت السقف يتشقق والماء يتسرب الى الغرفة. خط من الماء يتسلل الى الداخل بلا توقف لكني لم أتوقف. قفزت خطوة واحدة فرأيت الضياء يلوح في نهاية النفق المظلم، وبعد أن نسيت كلما حولي، فاختفت الضجة وتلاشت الالام وتعب التعب مني. أطلقت كل روحي في الضربة الاخيرة وبعدها القيت بنفسي على الفراش فورا.

— ١٠ —

سمعتها تضحك ضحكتها الرائعة، ورأيتها تجرى في حقل من الازهار والانوار. رأيتها تلوح لي وتبعث قبلاتها السخية، فغمرتني السعادة وتحولت الى عصفور يغرد وينفض الندى عن جناحيه فرحا، ولما سمعتها تدق على النافذة. رفعت رأسي فوجدت نورا خافتا ينتشر في الغرفة، وسمعت المطر يعزف على زجاج النافذة نغما هادئا راقصا.

انتبهت الى الصباح وقد أشرق والعاصفة وقد رحلت، والهدوء وقد خيّم على الفضاء، كانت أرض الغرفة قد تبللت ماءا ولكن اللوحة كانت هناك فوق الطوفان. ورأيتها تلوح لي وتضحك، وأزهار الياسمين تحف في السماء الزرقاء ورائحتها تغذى النور والهواء..

(عن "النضال" — مجلة تصدرها)
(جبهة التحرير الوطني البحرانية)

"درب الضيعة"

ليوسف خطار الحلو

صدر ليوسف خطار الحلو كتاب زجلي بعنوان "درب الضيعة" هاديا اياه "الى ذكرى الابطال الذين استبسلوا في النضال ضد مظالم الحكم الاقطاعي وابطوا بالقتال للتحرر من نيره الغاشم فصدعوا قاعدته وسجلوا امجد صفحة في تاريخ جبيل ولبنان".

جاء في مقدمته "يوسف خطار الحلو، هذا الاسم القريب من كل عامل وفلاح ومزارع.. عرفته مناضلا، مكافحا.. وعرفته كاتبا وصحافيا.. غير انني لم اعرفه شاعرا.. وهذا ما شدني لاقرأ زجلياته الزراعية، واقدم لها، لانها، وبكل صدق — صورة حية عن حياة المزارعين، خصوصا وانها مكتوبة وموزونة باللهجة الكسروانية التي حافظت على اصالتها حتى في الشعر.. والسرد والكلمات التي لا تستعمل تقريبا الا في مناطق معينة من لبنان.. لذلك جاءت بسيطة وطبيعية، قريبة من كل قلب ومن كل لسان.. وتحمل ارشادات وتوجيهات حرى بكل مزارع ان يقرأها..".

تتمة دراسة اميل توما.



سليمان باشا بعد وفاته أموالا طائلة بينها ٢٢ "دعبولة" في كل "دعبولة" الف كيس ريال فرنسي .. عدا الديون التي للخزينة على تجار عكا وبيروت وما عند حريمة (لا امراة واحدة؟؟) من الجواهر والتحف .. (المصدر السابق ، ص ٣١) .

ويتضح من المعطيات التي وصلت الينا أن فترة سليمان باشا لم تكن عاصفة .. فباستثناء معركته مع والي دمشق التي أشرنا اليها اتسمت فترته التي انتهت بوفاته في العام ١٨١٩ بالهدوء السياسي والعسكري النسبي .

وذكر مشاقه ان من حسناته ضمه اقاليم البلاد (اللبناني) الى ولاية دمشق فحكام ذلك الاقليم استبدوا بالاهالي وساموهم العذاب والجور ..

ثم اضاف انه قلص جمع الاموال من الاهالي "ورسم على الواردات الاجنبية رسوما كان منها الدخل الوافي الى الخزينة" (كتابه المذكور أعلاه ، ص ٦٥) .

من الواضح أن هذه الرؤيا سطحية لا تأخذ بعين الاعتبارات الصراعات الاجتماعية التي نجمت عن النظام الاقطاعي في الاساس، وعن النهب الداخلي (جمع الضرائب الثقيلة) الذى ميّز السلطنة العثمانية سوية مع النهب الخارجي (نهب الاقاليم المحتلة) ودائرة الاشغال العامة (الرى المنظم) التي تجمدت عمليا مع احتدام أزمة السلطنة .

وحتى المؤرخين البرجوازيين ، اى الطبقيين ، لاحظوا أن في عهد سليمان باشا تمرد احد مرؤوسيه حاكم يافا وغزة محمد آغا ابو نبوت الذى طمع في الاستقلال .. ونجح سليمان باشا في القضاء على هذا التمرّد ..

ومرة اخرى مدح المؤرخون سليمان باشا فكتبوا انه اراد أن يرفع بعض المظالم عن الرعايا ويحملها على الاجانب كان يبيع الغلات والقطن والزيت من الاجانب فقط .. واضاف محمد كرد علي "وفي نفس عكا

خاصة تبتاع الحكومة ما يفضل عن عوز الاهلين وتخزنه في مخازن لها، تبيعه من التجار الاجانب القادمين في مراكبهم بالاسعار التي تريدها" (كتابه المذكور اعلاه، ص ٢٧).

من الممكن ان نوافق على أن والي عكا ـ اى والي القسم الاكبر من فلسطين، انتهج فعلا سياسة فرض الضرائب على التجار الاجانب ـ الاوروبيين، ولكن ذلك لم يخفف من الاعباء على الفلاحين والحرفيين الذين قاسوا الامرين: من اضطهاد واستغلال المشايخ والاقطاعيين وملتزمي الضرائب، ومن منافسة التجار الاجانب المدمرة.

فلسطين في عهد عبد الله باشا

تولى ولاية عكا، وعمليا فلسطين، بعد وفاة سليمان باشا، عبدالله باشا.. وهناك ما يشير الى أن عبدالله ابتاع الولاية من ملتزم في الباب العالي وكان عليه حول مدة حكمه أن يدفع له مبالغ من المال، ازدادت مع مرور الايام مما دفع هذا الوالي الى فرض ضرائب باهظة وقع عبئها في كثير من الاحيان على الجزء التابع له في لبنان.

وفي حين امتدح مخائيل مشاقه، كما ذكرنا، سليمان باشا، حكم على خلفه عبدالله بشدة.. فكتب انه كان ضعيف النفس ميالا الى معاشرة الفئة المنحطة وكان متعصبا.. وبقتله مدير ماليته حايم فارحي الذى عرف بامانته واستقامته "حدث في الولاية اضطراب ورعب في قلوب الرعية وباتت اصحاب الوظائف في خوف من العزل والضغط..." (كتابه مشهد الاعيان.. ص ٧١).

أما لوتسكي فيصفه وصفا كاريكاتوريا وكتب انه "تغنى في اشعار رنانة بمآثره الحربية التي لم يقم بها في الواقع.. واشتهر بخط يدوى ممتاز قربه من السلطان محمود الثاني.. الذى كان بدوره مولعا بفن الخط..

ومع هذا فقد نجح في انشاء كتيبة من المشاة النظاميين وبذلك خلق قوة عسكرية ضاربة ساعدته على الصمود امام الثورات الشعبية ومؤامرات اعدائه الولاة الذين تحركوا في بعض الاحيان باوامر من السلطنة.

ولعل من العوامل التي وطدت موقعه حتى حين أمر السلطان والي دمشق درويش باشا باحتلال عكا والقضاء عليه في العام ١٨٢١، تعاونه الوثيق مع امير لبنان بشير الشهابي الثاني.

وجدير بالذكر أن عبدالله الذى اصبح "امير الحاج ووالي الشام وصيدا وطرابلس ومتصرف الوية غزة ويافا ونابلس وسنجق القدس الشريف" هو الذى طبق الدعامة الثالثة من الاصلاحات ـ التنظيمات الخيرية ـ وتمثلت في الغاء التيمارات.. او الاقطاعات العسكرية..

ومن وثائق تطبيق هذا الاصلاح رسالة بعث بها عبدالله ووقعها "والي صيدا وطرابلس ومتصرف لواء غزة ويافا والقدس ونابلس وجنين" الى وكيله في القدس الشيخ سعيد المصطفى يعلمه فيها حل تيمارات سنجق القدس الشريف ويبلغ عددها ٨٢ تيمارا ونقل محصولاتها الى "الخزينة العامرة الملوكية لانها تخصصت لمصارف العساكر المنصورة المحمدية" (مؤرخه في العام ١٨٣٠).

والواقع أن هذه الاصلاحات زادت من التذمر في المدن لان تنفيذها وبخاصة انشاء الجيش الحديث تطلب نفقات كبيرة وقع عبؤها الى مدى بعيد على عاتق الحرفيين وصغار التجار..

واشار عدد من المؤرخين الى ان اعداء الاصلاحات وبخاصة من رجال الدين ـ الذين تضرروا من احداها ـ نقل الاوقاف الى سلطة الدولة ـ حرّضوا الاهالي ومن بينهم الحرفيين على السلطان الذى يعيش عيشة ترف بينما "يخيم البؤس على اكواخ الحرفيين" وبذلك اسهموا في تفجير التمردات التي وقعت في مختلف انحاء الاقاليم العربية العثمانية وبينها فلسطين.

ومن ابرز الانتفاضات تلك التي وقعت في القدس وبيت لحم ونابلس احتجاجا على الضرائب.. واشتدت هذه الانتفاضات مع مرور الايام وكان اعنفها في عام ١٨٣٠ ثورة نابلس. (مخائيل مشاقه يؤرخ هذه الثورة في عام ١٨٢٩).

وكتب مخائيل مشاقه في هذا الصدد في اواسط ١٨٢٩ اعلنت الثورة في نابلس التابعة لولاية الشام.. وبعد ان عجز والي الشام عن اخضاعها طلبت الدولة من والي عكا عبدالله القيام بذلك.. "وكان سبب هذه الثورة الضريبة التي فرضها والي الشام وامر بجمع مبلغها الفادح من الثائرين" (كتابه المذكور، ص ٩٧).

وفي المعارك الضارية، التي انتهت بالقضاء على الثائرين، الذين تمتعوا بتاييد السكان، اسهم اسهاما كبيرا الامير بشير الشهابي الثاني..

والواقع أن عبدالله حافظ على ولايته حتى بداية الحملة المصرية على سوريا بقيادة ابرز ابناء محمد علي، ابراهيم باشا..

ومن الممكن تلخيص هذه الفترة بكلمات محمد كرد علي اذ كتب: "كان الشام في هذا القرن (١٧٨٥ ـ ١٢٤٧ ؟) مهد القلاقل والثورات، يقع الاعتداء في الاكثر على المسيحيين والاسرائيليين واهل السكينة من فقراء المسلمين" (خطط الشام، الجزء الثالث، ص٣).



ومع هـذا فلا بد من القول ان فلسطين أنتجت منتجات زراعية متنوعة . .وذكر الكتاب ان الريف الفلسطيني زوّد بيروت ، التي كانت تنمو بالحبوب والخضار والزيت . . كما ان يافا زوّدتها بالبطيخ . وفي الوقت نفسه زوّدت نابلس حاصبيا اللبنانية بالقطن . . فعلى الرغم من المنافسة الاوروبية فزراعة القطن في فلسطين احتلت موقعا هـامـا في الانتاج الزراعي وكانت الرملة احدى مراكز تلك الزراعة .

وشـهد الثلث الاول من القرن التاسـع عشر نمـوا عمرانيا في حيفا التى أرسـى أسـاس موقعها الحديـث ظاهـر العمـر . . وكتب د . الكس كرمل في كتابه "تاريخ حيفا في عهد الاتراك العثمانيين" : "واشـتغل معظـم سـكان حيفا الجديدة بفلاحـة الارض وزرعوا في المناطق الخصبة في ضواحيها ، حنطة وشـعيرا وقطنا واشجارا مثمرة وزيتونا وخضروات مختلفة بصورة رئيسية . وكان تين حيفا الذى زرع قرب الشاطئ بينها وبين مصب المقطّع ممتازا بنوع خاص ، واشـتهر هذا التين الذى اعتاد سـكان حيفا على تجفيفه . وكذلك امتلك سـكان حيفا قطعـان الغنم والبقر وكانوا يرعونها على الكرمل . ." (ص٩٠– ٩١) .

ولا بد من القول ان هـذه الفترة لم تشهد اصلاحات سـلطانية فجرت تذمرات وانتفاضات بل شـهدت أيضـا تغييرات دمغرافية واقتصادية أشرنا الى بعضها . .
ولكن هـذه التغييرات تفاعلت مع حـدث كانت له اسـقاطات بالغة الاهمية . . الحملة المصرية على سـوريا وهي موضوع الحلقة القادمـة .

١٩٥١

الجديد

مجلة شهرية ثقافية
تأسست في حيفا عام ١٩٥١

عنوان هيئة التحرير :
حيفا
شارع مار يوحنا ٣٩ -
ص.ب ١٠٤
تلفون : ٠٤/٦٦٦٦٤٨

عنوان الادارة :
حيفا
شارع الحريري ٩
ص.ب ١٠٤
تلفون ٠٤/٥١١٢٩٦-٧

تطبع في :
مكتبة ومطبعة ابو رحمون
عكا : تلفون : ٠٤/٩١٦٢٧٨

المحرر المسؤول :
المحامي حنا نقارة

الجديد

عدد ١ | ملحق شهري لجريدة الاتحاد | ١٩٥١

نحو ثقافة شعبية عربية في اسرائيل

هذه هي المرة الرابعة التي تصـدر فيها « الاتحاد » ملاحقها الشهرية المنفصلة التي خصصت للاداب والعلوم والفنون . وكنا اخترنا لهذه الملاحق ، في المرات الثلاث الماضية ، اسم « الجديد » . غير اننا مضطرون الى ترك هذه التسمية ، لاسباب قانونيـة ، الى حين ، حتى نحصل عـلى ترخيص رسمي باصدار مجلة باسم « الجديد » .

ويذكر القراء اننا قدمنا العـدد الاول من « الجديد » بافتتاحية حددنا فيها اهـداف هذه المـلاحق ودعونا فيها الادباء الاسرائيليين ، الراسخين في الادب والمقدمين عليه ، الى المساهمة معنا في مـد هـذه الملاحق بنتاج اقلامهم ومـا تجود به قرائحهم

وقد كان لدعوتنا هذه قبولا حسنا في كثير من الاوساط ، وابتـدأت «الجديد» تعرف قراء العربية في اسرائيل على اقلام تبشر بالخير وبالانتـاج الادبي المتطور .

ولكن هذه المـساهمة لا تزال اضيق من ان تعبر عن القوى الادبية الكامنـة بين متكلمي اللغة العربية في بلادنا . وهنا نرغب في ان نوجه ادباء اليوم وادباء الغـد الى قضايا تستطيع قرائحهم ان تساهم في معالجتها :

١ – من النتائج الحتمية لسياسة الاضطهاد القومي ، التي تتبعها الحكومة في بلادنا ، السياسة المرسومة لاضعاف اللغة العربية وللقضاء عليها .

نحن الشيوعيين ، ندرك ، كما علمنا معلمنا ستالين ، انه ليس من السهل القضاء على لغة شعب من الشعوب . وذلك لان اللغة تألف ، في الاساس ، من القواعد التي هي نتاج الفـكر البشري لشعب من الشعوب طول اجيال متعاقبه ، وتبعا لهذا فمن الصعب القضاء على قواعد اللغة ، وتألف من المجموع العام لمفردات اللغة التي تظل ثابتة على وجه العموم مع ان تطور الاوضاع يؤدي الى اهمال بعض هذه المفردات او تغير معـاني بعضها او الى مد هـذا المجموع العـام بمفردات جديدة .

الجديد
تصدر في حيفا
منذ العام
١٩٥١

ثلاثون عاماً .. وألف تحية

الجديد
عمقت ارتباطنا
بثقافتنا الفلسطينية



اقرا "الجديد" منذ صدور العدد الاول عام ١٩٥١، واحتفظ بها. وما يميزها انها ليست المجلة الثقافية الوحيدة التي واصلت صدورها خلال مده الفترة فحسب، وانما هي المجلة الوحيدة التي اطلعتنا على تاريخ شعبنا الفلسطيني وثقافته وعمّقت ارتباطنا بهده الثقافة خصوصا وأن أجيالنا الناشئة لا تقدم لها مناهج التعليم الرسمية الا ما يشوّه ملامح هده الثقافة وسمات هدا الشعب الحضارية والانسانية والقومية.

"الجديد" أصبحت مدرسة لتخريج ليس فقط كوادر الكتّاب التقدميين الوطنيين وانما كدلك لتخريج كوادر من القراء الواعين التقدميين بما تقدمه من دراسات ماركسية عميقة وادبيات نثرية وشعرية، وقد اغنت الحركة الثقافية العربية بشكل عام والفلسطينية بشكل خاص.

فلهذه المجلة الرائدة .. لمحرريرها والعاملين فيها وجميع قرائها الف .. الف تحية.

خليل خوري